الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1134
2023/2/28

ملف العدد

ثقافتنا في مواجهة العدوان

أول الكلام

تدمر يا سليلة المجد

■ د. لبانة مشوّح

كتبت الدكتورة لبانة مشوح وزيرة الثقافة في مجلة المعرفة قائلة:

حظيت مؤخراً بشرف تمثيل سورية على رأس وفد من الخبراء والأكاديميين في المنتدى الدولي المنعقد في مدينة قازان عاصمة جمهورية تتارستان بمناسبة الذكرى الخمسين لاتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لليونسكو. وقد أفرد المنتدى أحد أهم محاوره لمدينة تدمر الأثرية. ولا غرابة في ذلك؛ فما حظيت به هذه المدينة العظيمة من عناية الباحثين، ودراسة المؤرخين والآثاريين يكاد يفوق ما نالته أي مدينة أثرية أخرى في العالم.

من قلب بادية الشام، بزغت منذ مئتي ألف عام قبل الميلاد نواة متفرّدة لقيام أول تجمّع بشري، حين حطّ الإنسان التدمري رحاله حول نبع ماء كبريتي هو نبع أفقا، وبدأ يقتات على الصيد والتقاط الثمار، ثم ما لبث أن طوّر أدواته ووسائله واستقر ليعمّر الصحراء، ويُقيم فيها حضارة ذاع صيتها في أرجاء الكون، وباتت الألسن تلهج بذكرها بكل اللغات: «تدمر» إعجاز الإنسان السوري، سليلة المجد ومثار الفخار.

لعبت تدمر طوال القرون الميلادية الثلاثة الأولى دوراً محورياً في التجارة الدولية على طريقي الحرير والبخور. ازدهرت وبنت الأوابد الضخمة، وغدت محط أنظار وأطماع الجميع.

هذا التاريخ المشرّف الذي يشكّل أحد أهم مكوّنات هويتنا الثقافية الوطنية هو ما أراد أعداء الحضارة تدميره.

في حديقة متحف تدمر كان أسد اللات يجثم بعظمة وشموخ، اكتُشِف التمثال البهي الذي يعود إلى القرن الأول عام (١٩٧٧)، ثم نُقِل من معبد اللات إلى المتحف ليُحفظ فيه ويكون قبلة للناظرين. وهو تمثال لأسدٍ ضخم مهيب يستند على قائمتيه الأماميتين شامخ الرأس فاغر الفم،حتى يكاد للناظر أن يسمع زئيره الذي يشق عنان السماء.نُقِشت على قائمته اليسرى بالكتابة التدمرية العبارة الآتية:

«إن الربّة اللات تبارك كلّ من لا يسفك الدم في المعبد».

أسد اللات يرمز لشموخ سورية بالرغم من ألم الجراح، ورفضه لسفك الدم يرمز لسورية أرض المحبة والتآخي والسلام. وهذا تحديداً ما استهدفه الإرهابيون، إذ زرعوا في زوايا أسد اللات أصابع الديناميت وفجّروه، فأحالوه قطعاً متناثرة.

ولأنه رمز نعتز به، أعادت أيادٍ وطنية خبيرة ترميم التمثال ونقلته إلى حديقة متحف دمشق الوطني. وهكذا هي حال قوس النصر في تدمر. هو رمز لسورية في شتى أنحاء العالم، وإعادة بنائه وحسن ترميمه هدف نسعى إليه ولا بد سيتحقق إن عاجلاً أو آجلاً، بأيد وخبرات وطنية، وبتعاون الأصدقاء ودعمهم، وبإشراف خبراء مرجعيين معتمدين عالمياً. هو إرث استثنائي لا بد من أنْ يُعاد له ألقه.

بين نهبين

هي بضع ثوان

نقش سوري
خالد الأسعد

النظرية السياسية
الرابعة ٢-٢

تشكيليو حلب يبلسمون الجراح

أقام اتحاد الفنانين التشكيليين معرضاً للفن التشكيلي في صالة الأسد للفنون الجميلة بحلب، ضم خمسين لوحةً من مختلف المدارس التشكيلية، يعود ريعها لدعم الأهالي في المناطق المتضررة جرّاء الزلزال.

وبين يوسف مولوي رئيس فرع حلب لاتحاد الفنانين التشكيليين أن الفنانين أرادوا أن يقفوا مع أبناء بلدهم المتضررين من الزلزال ويعبّروا عن دعمهم عن طريق الريشة والألوان، فشاركوا بعدة أعمال مستوحاة من وقع الكارثة.

ومن جانبه أشار إبراهيم داوود أمين سر فرع حلب لاتحاد الفنانين التشكيليين إلى أن مشاركة الفنانين واجبة وعربون محبة وتضامن مع المتضررين، حيث شارك بعملين تشكيليين من وحي الزلزال، عبّر فيهما عن الحياة تحت الأنقاض من خلال الأيادي المرفوعة التي تطلب النجدة والشخوص الضبابية، واستخدم تقنيات تدمج الفن بتوثيق الحادثة.

وأكدت نوران جبقجي مديرة صالة الفنون أن معرض اليوم هو معرض خيري أقيم بمشاركة ٣١ فناناً من القامات الفنية المخضرمة والطاقات الشبابية قدموا ٥٠ لوحة من مدارس مختلفة.

وفي لقاء مع بعض المشاركين عبّر صلاح الخالدي عن الأصالة والمحبة من خلال البيت الحلبي القديم وقلعة حلب رمز الصمود وذلك في لوحتين مختلفتين.

ووجد أيمن الأفندي أن الفنان أكثر تأثراً بالأحداث التي تدور حوله، فلا يجد إلا الريشة والألوان للتعبير عن نفسه، فعبّر بلوحته عن التكاتف والتضامن الذي شاهده بعد الكارثة.

ومن الشباب المشاركين ابتسام مجيد التي رأت أن الألم لا يوصف ولا يمكن التعبير عنه بكلمات، ولكن الألوان صديقة الفنان يستطيع أن يعبّر من خلالها.

أما طالب الفنون الجميلة وسام عبد الغني فوجد أن مشاركته واجب ومسؤولية وهذا أبسط ما يقدّمه.

الكتاب السوري حضور فاعل في معرض القاهرة للكتاب

أشاد الناشرون السوريون الذين شاركوا في معرض القاهرة الدولي للكتاب بأهمية هذه المشاركة التي تحمل رسالة العلم والثقافة، لافتين إلى التفاعل الجماهيري مع الإصدارات السورية في مختلف المجالات.

وقال صلاح الدين نكمة من دار زهرة المستقبل: إن معرض القاهرة يعد من المعارضة المهمة لدور النشر في العالم، مشيراً إلى أن عدداً كبيراً من دور النشر السورية تشارك فيه بإصدارات غنية ومتنوعة بالعلوم والمعرفة لاقت تجاوباً وإعجاباً كبيرين لدى زوار المعرض، وقدمت رسالة محبة لجميع الشعوب بمختلف اللغات.

من جهته بين عماد الرفاعي من دار العماد للنشر أن مشاركة دور النشر السورية في المعرض مهمة جداً وهناك إصرار دائم منها على المشاركة، لأنها تعتبر منفذاً لتواجد الدور السورية في المعارض الدولية، منوها بالإقبال الجماهيري الكبير على المعرض.

بدورها قالت أمينة عثمان من دار تموز ديموزي: إن الدار تسعى للتواجد بكل المعارض العربية والدولية لتحمل رسالة العلم والثقافة إلى الجميع، مشيرة إلى أن معرض القاهرة يعتبر من أهم المعارض، وهناك نية للمشاركة الغنية والفاعلة فيه دائماً.

هيثم الغزالي من دار نينوى: رأى أن الدار تشارك في المعرض منذ ٢٣ عاماً من دون انقطاع، وتقدم إصداراتها التي تثري المكتبة العربية والعالمية لما تحتويه من ثقافة وعلوم وآداب، لافتاً إلى أن معرض القاهرة من أهم المعارض العالمية لما فيه من تلاقي الثقافات.

من جهته قال زياد المخللاتي من دار العصماء: إن المشاركة السورية في الفعاليات الدولية مستمرة وهي بازدياد وخاصة معرض القاهرة الدولي للكتاب من خلال إصدارات متنوعة في مجالات مختلفة كالأدب والتاريخ والكتب التربوية.

بدوره أشار وائل قدور من دار اليمامة: إلى أن المشاركة السورية بالمعرض حظيت بإقبال الجميع وإعجابهم، حيث تواجدت دور النشر السورية بكثافة وحملت من الإصدارات والعناوين ما أثار شهية القارئ العربي الذي يتطلع للحصول على الإصدارات السورية، لما تحتويه من مواد ثقافية قيمة.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
ثائر زين الدين
حبيب ابراهيم
توفيق أحمد
دلال ابراهيم
رجاء شعبان
سلوى الحلو
غسان كامل ونوس
مريم خير بك
مريم علي حسن
مها محفوض محمد
محمد خالد الخضر
هنادة الحصري
وفاء يونس

ذاكرة

رهين المحبسين يجدد مجد غفرانه

من أبي تمام حيث رائعته (السيف أصدق إنباء من الكتب ..) إلى الفراتي الخالد وما قاله في نهرنا العظيم ، مروراً بتدمر وزنوبيا وخالد الأسعد و فالمعرة حيث (أبو العلاء) عمود الشعر العربي ، فيلسوف الشعراء ، وشاعر الفلاسفة ، كانت معاول الجهل والتخلف والقتل والهمجية ترتفع لتدمر معالم الآثار والثقافة ، بأمر ممن لا جذور لهم ، وهم طحالب واشنيات على الثقافة والحضارة العالمية .

من آثار العراق التي نهبت، وتم تدمير الذي بقي ، إلى كلّ أثر ومعلم ثقافي وحضاري ، كانت الهمجية تفعل فعلها ، حطموا تمثال أبي تمام ، والفراتي ، وآثار تدمر ، وتمثال المعري ، وظنوا أنهم اجتثوا الحضارة والثقافة العربية ، لكنّهم كما من يشغلهم باؤوا بالخزي والعار ، سيبقى أبو تمام يصدح في فتح عمورية (فتح الفتوح) وللفرات قصيدته الخالدة :(ذاك نهر الفرات فاحب القصيدا من جلال الخلد معنى فريدا).

أما ابو العلاء المعري هل كان يقرأ القادم من الزمن المر ، حين قال : هذا جناه أبي علي ،وما جنيته على أحد ..

نعم كان يفعل ذلك ، وهو القائل : إني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل ، شاعر وفيلسوف العقل ، أقض مضجع الحاقدين بما تركه من أعمال خالدة فكانت جرائمهم بحقه وحق كل فكر ومفكر ، ولو استطاعوا لفككوا قلعة حلب حجراً حجراً ، وهشموا تمثال أبي فراس الحمداني .

-علامة سورية فارقة

المعري ، الإنسان والشاعر والحكيم ، ورهين المحبسين ، كما أطلق على نفسه ، سوري الثقافة والابداع ، صحيح أنه عربي ، لكنه هنا عاش، ومات ودفن ، ومن المعرة كانت شهرته تملأ الدنيا ، من حلب إلى بغداد ، إلى الغرب ، فقد ترجمت أعمالهم إلى معظم لغات العالم ، ويمكننا بكلّ سهولة أن نقرر أنه كان صاحب أول رسالة خيال علمي (رسالة الغفران) وحين كانت سورية تحت الاحتلال الفرنسي ، وقد نالت الاستقلال، وليس الجلاء ، لم تنس ذكراه الألفية فاحتشد الشعراء والكتّاب والمفكرون العرب ، وتوافدوا برعاية الحكومة السورية إلى دمشق ، وانطلق المهرجان في ثلاث مناطق ، المعرة ، اللاذقية ، حلب ، وفي المهرجان كانت روائع الشعراء والكتاب ، فمن منا لايترنم بما قاله بدوي الجبل:

أعمى تلفّتت العصور فما رأت
عند الشموس كنوزه اللّماح
نفذت بصيرته لأسرار الدّجى
فتبرّجت منها بألف صباح
من راح يحمل في جوانحه الضّحى
هانت عليه أشعّة المصباح
مصوّر الدنيا جحيما فائرا
يرمي العصور بجمره اللّفّاح
هوّن عليك ففي النّفوس بقيّة
من رحمة و مروءة و سماح
خلف الخجير و عنفه و لهيبه
ما شئت من ظلّ و طيب نفاح

ولاينسى البدوي أن يعاتب لموقفه من المرأة وقسوته عليها :

إ يه رهين المحبسين ألم يئن إطلاق مأسور وفك سراح
أتضيق بالأنثى وحبك لم يضق بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها لو ذقت بعض شمائل التفاح
عطر أحب من المنى وغلاله بدع فمن وهج ومن أفراح
هي صورة لله جلّ جلاله عزت نظائرها على الألواح
ما أجوع الحكيم وهمه وسع الحياة لصبوة ومراح
ذهب الغزاة والمستعمرون ،وبقي الفكر ، وكما نطردوا ، سوف يطرد الإرهاب ويبقى العبقري ، يبقى الفكرالمتقد:
الدهر ملك العبقرية وحدها لا ملك جبار و لا سفاح
و الكون في أسراره و كنوزه للفكر لا لوغىً و لا لسلاح
دَرَتِ السنون الفاتحين كأنهم رملٌ تناوله مهب رياح
لا تصلح الدنيا و يصلح أمرها إلا بفكر كالشعاع صراح
خير العقائد في هواي عقيدةُ شماء ذات توثب و جماح

وكان للجواهري أيضاً قصيدة رائعة في المهرجان إذ قال :

قف بالمعرة وامسح خدها التربا واستوح من طوَق الدنيا بما وهبا
واستوح من طبب الدنيا بحكمته ومن على جرحها من روحه سكبا
وسائل الحفرة المرموق جانبها هل تبتغي مطمعاً أو ترتجي طلبا؟
يا برج مفخرة الأجداث لا تهني أن لم تكوني لأبراج السما قطبا

جريدة الثورة وضريح الشاعر

بمبادرة من مؤسسة الوحدة جريدة الثورة ومنذ أكثر من أربعين عاماً ، تم اختيار بيت شهير للشاعر ونقشه على لوحة رخامية ووضعه على ضريحه ، والبيت هو : هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

ما ضريح الشاعر حيث أقيم المهرجان فقد أشارت المعطيات والدراسات التي تناولت الأمر

(إلى انه يعتبر بناء المركز الثقافي العربي بالمعرة من الأبنية الأثرية الهامة والجليلة في مدينة المعرة؛ لما يمتاز به هذا المبنى من طراز معماري فريد غني بزخارفه البديعة. وقد بني في الأربعينيات من القرن الماضي على مساحة قدرها /٥٠٠/ متر مربع. البناء في وسط شارع أبي العلاء، ويطل على الشارع الرئيسي بواجهة معمارية مؤلفة من مدخل بقنطرة مرتفعة ترتكز على عمودين من الحجر، ومن ثم يؤدي المدخل إلى باحة مكشوفة يرى فيها ضريح الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري ضمن قبر متواضع خلا من الزخرفة والصنعة، علماً بأن هذا القبر هو ذاته القبر القديم الذي رقد تحته الشاعر أبي العلاء المعري، وقد توضّع هذا القبر ضمن إيوان يتجه إلى الشمال وبجانبه مدخلان يؤديان إلى قاعة المكتبة العلائية والتي ضمت خزائن خشبية عرض فيها مجموعة ضخمة من الكتب العلمية والأدبية والتاريخية وغيرها، هذا فضلاً عن مجموعة أخرى من الكتب حوت آثار أبي العلاء وما كتب عنه الأدباء والشعراء).

ها هو المعري ، يستعيد اليوم معرته وغفرانه ، وبهمة وسواعد الجيش العربي السوري ، سيبقى الوطن شامخاً ، وتعود للإنسانية قيمها التي قضى المعري عمره منافحاً عنها ، ولن تخبو شعلة العقل الوضاء من الفرات إلى حلب ، من ابي تمام فالفراتي وزنوبيا وخالد الأسعد ، وكلّ شهيد ارتقى لنبقى .

عدوان على الثقافة والتاريخ والحضارة

مريم خيربك

وأنا أنطلق من واقع محزن نعيشه نحن السوريين، بعد حرب عدوانية على سورية، شارك فيها بدايةً الوكيل من كل مَن جندته الصهيونية العالمية لتدمير سورية والاستيلاء عليها، بدءاً بالنصرة وداعش وجيش الإسلام، وما رافقها من أبواق إعلامية عالمية وعربية وسورية وليس نهاية بقسد وبعض السوريين .. وما نعيشه من واقع الموت والدمار جرّاء هذه الحرب، المرفقه بقصف إسرائيليّ متكرر، والمنتهية بزلزال أكمل بدماره على الكثير مما تبقى، وكرّس واقع الموت والدمار والفقد، وقسوة الظروف الاقتصادية والاجتماعية، لايسعني إلا أن أعترف، كما غيري، بما تخلّل كل هذا مما نعيشه الآن، ويؤكد عظمة هذا الشعب السوري، أولاً والشعوب العربية ثانياً، وشعوب الدول الصديقة والحليفة رغم أزماتها.

لكني أتوقف عند الشعب السوري الذي حاولوا تشويهه من خلال بعض الحالات، إذ لم يفارقني في يوم على مدى سنوات هذه الحرب وقساوة الأحداث واختلاط الأمور، وفي النهاية مايراه جميعنا اليوم من استنهاض الزلزال لأخلاقيات السوري والعرب، والصديق والحليف والإنساني أننا شعب حيٌ مازال بخير.

وهنا أعود بذاكرتي إلى بداية الحرب على سورية، هذه الحرب التي أصرّ كثيرون أنها حرب طائفية، أهلية رغم إدخالهم مئات الآلاف من شذاذ الآفاق في بقاع الأرض، مايؤكد أنها ليست حرباً بين السوريين، وبأنهم لو استطاعوا أن يجدوا من السوريين مايكفي تنفيذ مخططهم ماكانوا استقدموا جيشاً دفعوا عليه مليارات الدولارات كي يشنّ حرباً إرهابية تكفيرية على مساحة الوطن السوري.

كنت أربط دائماً بين قراءاتي حول ما يمت إلى الحرب على سورية بصلة فأرى في الإصرار على تسميتها حرباً طائفية أو أهلية عودةً بي إلى تاريخ إنشاء أحزاب الإسلام السياسي، التي كانت في نفس مرحلة غرس الكيان الغاصب في فلسطين بعد استقلال بعض دولنا العربية، حيث اكتشف عدوُنا المجسّد بالصهيونية العالمية أنّ أهم مايحقق مخططاته وأهدافه هو تسييس الدين، ونخر مجتمعاتنا العربية الفسيفسائية من داخلها بفكر ديني وثقافة بعيدة كل البعد عن طبيعة ديننا وشعوبنا، وعن ثقافتنا وموروثنا.

وإذ تكثر الشواهد أعود إلى سورية وحرب الثمانينيات عليها، والتي كانت المرحلة الأولى لهذه الحرب العالمية التي نشهدها الآن ، والتي نشهد فصولها ونعيشها منذ اثنتي عشرة سنة إلى الآن بشكل متواصل..وكانوا قبلاً في الثمانينيات قد حاولوا تدميرها عبر حرب تكفيرية بدأت بعد انتصار سورية على إسرائيل في حرب ١٩٧٣، سورية التي اعترف بعض قادة الكيان الصهيوني أنها سجّلت انتصارات فاجأته لاسيما في سلاح الجو...

وتمهيداً لإكمال تنفيذ مخططهم أسقطوا الاتحاد السوفياتي، القوة المواجهة للإمبريالية العالمية، والقطب الذي كانت تستند إليه الشعوب الضعيفة، لتعلن أميركا عبر مفكريها نهاية التاريخ، وحكم القطب الواحد للعالم عبر نظام العولمة متعدد الجوانب .. كما ذكر (كتاب نهاية التاريخ لفوكوياما).

هنا وفي ال ٢٠٠٥ يتم اغتيال الحريري، فيقيمون الدنيا ولا يقعدونها على سورية، التي اتهموها بقتله، وطالبوا بخروج الجيش السوري من لبنان إثر هذا الاتهام لتخلو الساحة لأنصارهم الذين بدؤوا بالمطالبة بتصفية حزب الله..

هنا تبدأ حرب ال٢٠٠٦ بين لبنان أو بالأحرى حزب الله وإسرائيل، وتكون بنتائجها أول حرب تكسر هيبة إسرائيل أمام العرب والعالم، لاسيما العالم المتبني لسياسة إسرائيل، والداعم لها، والأنظمة العربية العاجزة والمتآمرة على المقاومة وسورية، وقضية فلسطين، وفي نفس الوقت أظهرت تعاطف الشعوب مع القضية الفلسطينية والعربية مامهد لعودة القطب الآخر إلى المنطقة والساحة العالمية مع درس قاسٍ للاحتلال وداعميه.

لكنّ النتيجة التي كانت الأقسى عليهم، وفتحت عيونهم على حقيقتها هو التعاطف منقطع النظير من قِبَل الشعب السوري بدون استثناء، رغم محاولتهم تعزيز الطائفية على مدى عقود، تعاطفاً جعل دمشق وجميع المدن السورية تفتح بيوتها وقلوب ساكنيها لاستقبال شعب المقاومة الذي تقصفه إسرائيل ليل نهار مدمرة بيوتهم والبنية التحتية لمناطقهم، دون أن يقول الدمشقي أو الحلبي أو ابن الساحل هذا سني وهذا شيعي أو مسيحي أو... أو.....

لقد هبّت سورية بكل من فيها لدعم المقاومة وشعبها المنكوب، وهذا ماحصل على مدى حروب العراق، حيث استضافت سورية مليونَي عراقي لهم ما للسوريين في جوانب الحياة رغم الحصار الاقتصادي الذي كان مضروباً على سورية، والأزمات التي يعيشها السوريون في كل حياتهم، ومرور سنوات قليلة على حرب الثمانينيات.

وما كان عظيماً هو المظاهرات في أنحاء العالم ضد الكيان الغاصب، وتعاطف مع المقاومة جعل هذا العدو كما عادته، يقف وقفة المتأمل بغضب لما حصل، ويستنجد بعلم النفس والاجتماع وكل مايساعده كي يواجه هذا كله من خلال مخططاته التي دأبت على تدمير سورية ذات البنية الاجتماعية الفسيفسائية عبر محور الدين، سورية التي رأى فيها هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول الهدف الأساس كي يستولوا على المنطقه كلها، لاسيما وأنهم مقتنعون أن شعوب منطقتنا غبية جداً ولا تتعلم من تاريخها.

وفعلاً بدأ العمل على قدم وساق، وكانت البداية للحلقة الجديدة في المخطط مع (الربيع العربي) الذي أوهم به شعوبنا عبر سيناريوهات متنوعة اختارها بداية في تونس ومصر، بما يسهل مهمته التي حقق الكثير منها، وقد تأكد هذا بعد سنوات مع حكم الإسلام السياسي، حليفه وأداته في تنفيذ مخططاته في مصر وتونس ودول أخرى..

ومع توالي الأيام أصر عبر دقائقها وثوانيها أنه يدافع عن شعوبنا وحريتها وحقها في تطبيق الديمقراطية كما أرادها، وقد ساعده في هذا البنية السياسية والدينية الهشة لمعظم هذه الدول، والجامعة العربية التي أعطت قيادها لدول عربية حليفة لعدو الدول المقاومة، ودول الغرب الاستعماري ومخابراته التي اشترت النفوس الضعيفة الباحثة عن مصالحها، ومن استطاعت السيطرة عليهم من بسطاء الناس والجهله وأصحاب الانتماءات المدينة بولائها لفكرٍ وثقافة دينية جعلتها وقوداً لحرب لامصلحة لها فيها.

يثبت الشعب السوري يوماً بعد يوم، لاسيما مع الزلزال الذي ضرب سورية بقوة تجذُر ثقافته في أرض وطنه الحاضنة لأعظم الحضارات، فإن كان قد حرَض بعضَ السوريين الأموال، أو الجهل، أو المظالم الناتجة عن الفساد، والتي أوجدت ثغرات نفسية عندهم، أو الاستغلال الدؤوب للظروف، أو تحرك الإسلام السياسي بقوة ...أو...أو...ودفعوا الضريبة غالية، وقد وعاها بعضهم، إلا أنّ حجم التآمر العالمي وما دُفع لهذه الحرب كان كفيلاً بأن يسقط أكبر الدول، التي ترزح منهكة الآن تحت ضربات الحرب الأوكرانية من حرب عسكرية ليست فوق أرضها، فكيف لو حصل لها ماحصل لسورية التي دُمّرت بحرب ممنهجة، تناولت ثقافتها بكل عناصرها، من اللغة، إلى الآثار، إلى العادات والتقاليد، إلى الدين السمح في حقيقته، والذي يؤسس للكثير من عوامل ثقافتنا، إلى...إلى... وجذّرت لغة القتل، وهي أبعد لغة عن طبيعة هذا البلد الذي كتب كثير من الغربيين عن الإجرام الذي مورس بحقه....

فرغم هذا الإجرام الذي مورس بحق السوري على مدى سنوات الحرب، ومن خلال جميع أفعاله يكذّب ادعاءات من خطط لها ونفذها، عبر ثقافة الحياة عنده، التي جعلت الطوائف تستعين ببعضها لتجاوز المحن، والمحافظات بكل تنوعها تشهد تعاوناً إنسانياً لم تقف بوجهه أفعالهم التي لم تفرق بين هذا وذاك عندما كان يقف في وجه مخططهم، التي بُذلت أقصى الجهود كي تكون الطائفية محورها.

هذه الطائفية التي يواظبون بإصرار على تجذيرها في ثقافتنا حتى الآن عبر آلاف الفيديوهات، الأداة الهامة جداً في عصر التقنيات الذي نعيشه، والتي لاتزال تُضخ لتشويه ثقافتنا، وثقافة أديانا، وتشويه عاداتنا، وبث آلاف الشائعات في أقسى ظرف اجتماعي واقتصادي وعسكري تعيشه سورية مع نتائج الحرب، والآن نتائج الزلزال ...

رغم هذا الواقع القاسي بكل أبعاده مازال كثير من السوريين يقفون بثبات محصنين بثقافتهم الوطنية المتجذرة عندهم في وجه مايواجهونه، فيسجلون أروع قصص التآلف والتعاضد ونبذ الطائفية والإقليمية والإثنية و...و...و...

ويشهد على هذا ماحصل في عدرا العمالية، وفي الجزيرة، وفي كل مدن سورية وقراها ...حتى في الدول التي استقبلت المهَجّرين السوريين، الذين لُعب بمصيرهم، وخُطّط لتهجيرهم لتكون هذه الحالة ورقة في أيدي أعدائنا يلعبون فيها بمصير الشعب السوري الذي حاولوا تشويه جميع جوانب حياته.

مع حرب أوكرانيا التي تشكل حلقة في الحرب العالمية التي تشنها الصهيونية بعد حربها على سورية والمنطقة العربية، تتجلى عودة القطب الثاني بقوة، ضد القطب الذي تجسده الدول الرأسمالية التي ظلت تحلم بمشاريعها الاستعمارية القديمة الحديثة..

ونصل إلى هذه الأيام، وتحديداً مع الزلزال الذي ضرب سورية وتركيا، لنعيش ظرفاً قاسياً أكثر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي نفس الوقت حالة تعطي للعالم الدرس الإيجابي حول ماحصل ويحصل مع هذا الزلزال، وليتجلى بوضوح مقدار الكذب الذي مارسه أعداؤنا وهم يدمرون هذا الوطن، من خلال وقوف الدول الشقيقة والصديقة والحليفة قيادات وشعوب إلى جانب سورية، مخترقة الحصار الخانق المضروب حولها إلى جانب شعبها الذي اندفع بكل مخزونه الحضاري والثقافي والوطني ليجسد من خلال جميع طوائفه وشرائحه وأديانه أروع صور التعاضد والتكاتف والإيثار والوعي والتلاحم، ماعرّى كذب ومزاعم أرادوا إقناع جميع العالم بها حول طائفية هذا الشعب.

لقد فشلت حرب الوكيل على سورية، وهو الجيش التكفيري الإرهابي الذي جمع من كل العالم شذاذ الآفاق ليخلفه الأصيل وهو أميركا ومجموعات قسد، وتركيا، وإسرائيل التي لاتفتأ تقصف المواقع السورية، وفي الداخل الفاسدون الذين يستغلون الحصار الاقتصادي ليصلوا إلى ماعجز الوكيل عن الوصول إليه عسكرياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، محاولين عبر حرب الشائعات المنهجه حرف الأنظار عن المسبب الرئيس للظروف المعيشية القاسية، وهو الحرب، ليقنعوا الشعب بأن الفساد الذي لاننفي آثاره ونتائجه هو المسؤول عن كل مايحصل .. إن ماحصل بعد الزلزال أظهر هشاشة، ولا إنسانية، وإجرام النظام الرأسمالي المتوحش، الذي خدع الشعوب عندما أوهمها أن هذه الحرب من أجل حريته ورخائه وديمقراطية يريدها له...

وكما يقول المثل ذاب الثلج وبان المرج، واتضحت جرائم القطب الصهيوني الذي لايريد سواه، وسوى مصلحته، لذلك يعمل على طمس هوية دولنا وأي دولة هي هدفه، وتدمير آثارنا وثقافتنا وأديانا وإنساننا وأرضنا وكل ماتُؤَسّس عليه دولنا ....مستعيناً لتحقيق أهدافه بعملائه في الداخل والخارج....

استهداف ثقافتنا أخطر أهداف العدو

محمد خالد الخضر

أصل الثّقافة في اللُغة العربيّة مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف) بضمّ القاف وكسرها . ولها كثير من المعني منها العلم والفنون وتقويم الاعوجاج وفي النتيجة وصلت إلى سلوك اجتماعي شامل ونجد أن الأشكال التعبيرية مثل الفن، الموسيقا، الرقص، الطقوس بما في ذلك ممارسات منظمة سياسية واجتماعية وفلسفية وأدبية وهذه الأخيرة أعطت في بدايات عصر النهوض الإنساني الذي بدأ على شكل عفوي شخصية الإنسان وبيئته البنيات والأسس التي تحدد ماهية المجتمع ومدى أهمية حضوره .. ولاسيما أنها عكست وقائع الحركة الإنسانية وصوّرت أثرها وتفاعل المجتمع معها .. لهذا في بدايات ظهور الشعر على سبيل المثال كان عندما يكتشف شاعر بالقبيلة تقام الأفراح ويتباشر الولدان وتقام الولائم لأنه يشكل لسان القبيلة وممثل إعلامها .. وبعد ذلك اشتدت مكونات الثقافة العربية وفرض وجودها في العالم .. وأصبح العرب حسبا صعبا في تفكير الأمم الأخرى التي تستهدف الكسب واستغلال غيرها وأصبحت أمة صعبة المنال نظرا لقوة بناء شخصيتها الثقافية والتاريخية وهذا سبب تداعيات مختلفة منها استهداف الحركة الشعوبية في البداية للثقافة العربية والشعر بشكل كبير

لأن الثقافة سمة للفرد والشعر من أهم مقومات مكون شخصية البيئة لأن الشاعر ابن البيئة التي ينشأ فيها ، ومرآة صادقة للمجتمع تنعكس فيه هموم الناس ومشاكلهم ، وتطلعاتهم المستقبلية . والشعوبية حركة شعبية – تهدف إلى مقاومة العرب وظهرت في العصر الأموي ومن شعرائها .. إسماعيل بن يسار النسائي الذي افتخر بقومه وأمجادهم ، وعير العرب في جاهليتهم بعاداتهم وطريقة عيشهم. وتزايد وجودها في العصر العباسي . وأقدم ما وصل إلينا من الكتب التي استعملت لفظ الشعوبية كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ الشعوبية ودراسة الشعوبية في هذه الفترة من تاريخنا ، ضرورة ماسة تكشف لنا الخطر في هذا العدو الذي وإن تبدّل أو تغيّر في أطوار التاريخ ، واتخذ رداء الهجوم الأدبي والثقافي والتراثي والعنصري واللغوي والديني ، إلا أنه ظل العدو المتربص بالعرب وما يمتلكونه من ثقافة .. ولاسيما أنها كانت أول من بدأ بتهشيم اللغة العربية وجعل الشعر بلا هوية وتحويله إلى أشكل وألوان ولهجات ليصل إلى التنديد باللغة العربية ومقوماتها وعدم الالتزام بوحدتها وبالتالي لانهيار الهوية العربية .. وهذا ما وصل إلى الحاضر العالمي الذي يسعى إلى السيطرة على ثقافته بأنواعها الموساد في انعطافات كثيرة وخلال شعاب مختلفة كالماسونية والايديولوجيا وتسير ما يستطيع من مكوناتها وناسها لتقوية السيطرة الاستعمارية وسيطرة ما يذهب إليه ويهدف في كثير من التطلعات التي تخدمه في انهيار العقل البشري ليكون في حدود سيطرته الكاملة .

ولعل أول ما سعى إليه تغيير مفاهيم الحداثة التي تلغي شخصية الأديب والمثقف وعلى سبيل المثال اعتبار الشعر لبسا قديما لا يمكن أن يعبر عن المرحلة إلا بشكل آخر تلغي الهوية وهذا ما تورط به كثيرون لأنهم لا يمتلكون القدرة على معرفته أو لا يمتلكون موهبته .. ثم حدثت متغيرات أخرى فطلع مصطلح جديد في أشكال الأدب وأجناسه وهو (الهايكو) ففرغ كثيرا من محتويات الأدب ابتداء من التسمية غير المرتبطة بهوية العربي وصولاً إلى المبنى والمعنى وهذه التسمية هناك من تمسك بها تلبية لتطلعات الآخرين بثمن معين وهناك من تمسك بها لأنها طريق للعاجزين أدبياً وثقافياً .

ولا يخفى على أحد محاولة تشويه التطلع الثقافي بأكمله خلال الحرب الإرهابية على سورية .. ومن أخطرها إعلامية في صحيفة تدعو إلى تكوين نقابة لما سمته بالشعر المحكي وإعطاء كل مدينة وقرية وضيعة وخيمة رخصة بهذا المجال والأخطر من ذلك ظهرت شخصيات وحملت أسماء ولا تتقن أن تقرأ سطرا .. ولا أعلم كيف مر مقال لصحفية رفعت به المنصوب على الاختصاص كقولها نحن الصحفيين ثم كتبت حضرت نشاطاً فيه شعر مقفى وشعر موزون وغير ذلك ما ينشر ويطبع من كتب كصدور كتاب فيه فصيح ومحكي ولهجة مصرية .. أليس هذا استهدافاً خطيراً .. ناهيك عن ترويج دعاة الإسلام الذي بدأوا منظومتهم التخريبية بترويج لثقافة الذقن واللباس الطويل معها كما فعلت داعش والنصرة والإخوان المسلمون وغيرهم ممن صنعهم الموساد وقتل من لا ينتمى طائفياً ومذهبياً .. وتشجيع التخريب الثقافي بالكامل لنصل إلى ما يرسمه الآن الكيان الصهيوني .. اطلقوا صرخة شرف .. وتمسكوا بوطنكم وهويتكم وتشددوا كما يتشدد غيركم لمسحكم من الوجود .

وتر الكلام

لماذا تستهدف...؟

سعاد زاهر

ليست المشكلة في استهداف ثقافتنا، بل في استسلامنا أحياناً لهذا الاستهداف، فقد نقاومه آنياً، وبشكل فردي، لكن في العمق، علينا اتخاذ مواقف جماعية، تفضي بنا إلى رؤية استراتيجية تجعلنا نتبنى خططاً ثقافية تترسخ في الوعي.

غالباً الإرادة موجودة، وكلّ المشتغلين في المجالات الثقافية يدركون أهمية أن نمتلك تعاطياً ثقافياً قادراً على جذب الناس، بحيث يصبحون جزءاً من العملية الثقافية لا يسايرونها ويحضرون الفعاليات والأنشطة مجاملة، بل يتفاعلون معها، ويتأثرون بأفكارها...!

صحيح أن القوى العدوانية التي نقارعها، تستهدفنا، ولكن سرعان ما ننهض، تصيبنا مرة، ولكننا ننهض آلاف المرات...

أما حين تنحسر الثقافة، ويغرب أفقها، حينها يكون استهدافاً مؤثراً، يضرب في الصميم...

لا شك أننا ونحن نرى كلّ هذا التسطيح والخواء، نعيش مع استهداف ممنهج يبعدنا عن حالة التعاطي العميقة، ويجعلنا نتجه نحو استساغة كلّ ما هو سطحي، والمخيف أنه ينتشر بين أيادينا بسهولة من خلال شاشاتنا التي نمسك بها بإصرار غريب.

هم في البعيد، يستهدفوننا ويمضون... ونزداد اصراراً، على مقارعتهم ...

إلا أن المؤلم أن نستهدف نحن ثقافتنا، بتلك الحالة الرغوية، أن نعتصر الاماً ونحن نرى كلّ ما يحيط بنا، يصر على هشاشة لا سابق لها، الأخطر من استهدافنا الخفي والبعيد، ألا نتقن ما نفعله، ألا نقتنع أن للثقافة مكانتها، وأن على كلّ تلك الخطط التقليدية أن تعنى بثقافة مختلفة، قادرة حتى في أحلك الظروف على جذب بشر بقدر ما يبدون متعبين يمكن لفكرة، أولاعتناق فلسفة معينة أن يأخذهم نحو أفق لانهائية للنهوض..

بين نهبين وتدميرين

مها محفوض محمد

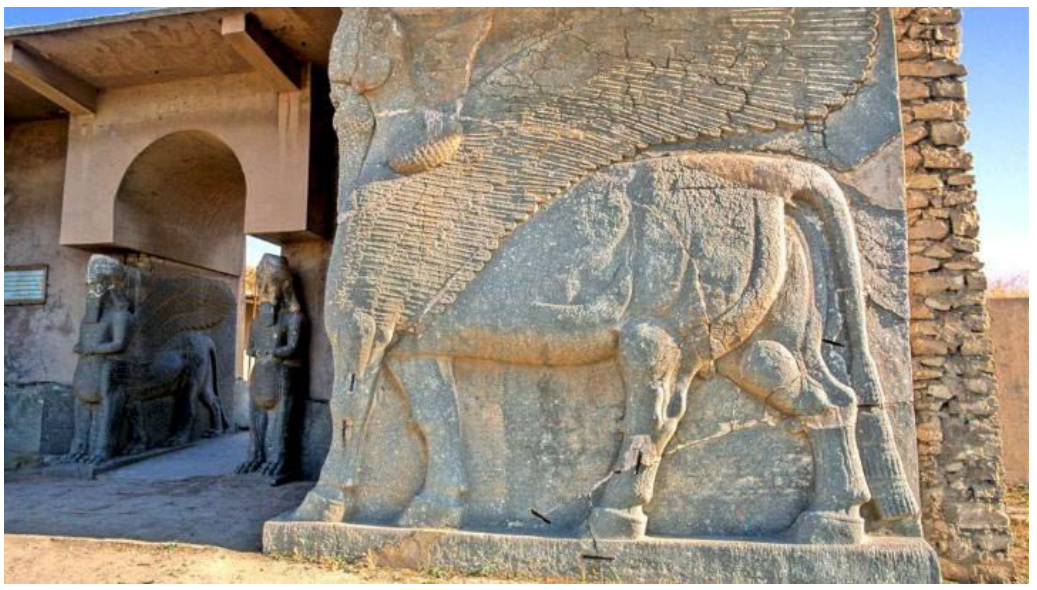

إنها حكاية تاريخ كنوز لا تقدر بثمن فقدت بالإهمال وأعيد بعضها بمحض المصادفة، وهو تاريخ بلد تم اجتياحه وحلت به المآسي منذ عشرين عاماً.

على يد الأنغلوأميركي فقد العراق الكثير من تراثه التاريخي الذي يعد أقدم حضارة بشرية.

في نيسان ٢٠٠٣ استباح الجنود الأميركيون بغداد ونشروا الفوضى وعلى مدى أيام أتاحوا المجال لعصابات السطو أن تعيث وتفتك في متاحف بغداد على مرأى الجميع وأمام الصحفيين.

المتحف الوطني الأهم والأغنى بينها الواقع في قلب العاصمة العراقية اختفت منه خلال أيام نحو ١٥٠٠٠ قطعة أثرية بابلية وآكادية تعود إلى ٢٠٠٠ق.م قطع خزف وخناجر فارسية قديمة ألواح صلصال سومرية مزخرفة بنصوص مسمارية أقدم كتابات عرفتها البشرية.

وبعد سنوات من الاحتلال تم العثور على ثلث هذه المسروقات فقط لكن أغلبها عاد مكسوراً مهشماً.

هناك شبكات عالمية منظمة لتسويق هذه التحف وإعادة بيعها وهذه الشبكات موجودة في جميع أصقاع العالم في أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأوسط وأميركا اللاتينية.

العراق الذي يمتلك ١٢٠٠٠ موقع أثري معروف أغلبها بعيدة عن المدن جرت عمليات النهب فيها بطريقة منظمة ومدروسة وبأقل تقدير هناك ٣٢٠٠ قطعة اختفت من هذه المواقع ولاستعادة كنوزه طلب العراق مساعدة الانتربول الدولي ورجال الشرطة والجمارك العالمية.

لقد تم استرجاع ١٥٠٠ قطعة من الولايات المتحدة الأميركية وفي ربيع عام ٢٠٠٨ أعيدت ٦٣٨ قطعة منها إلى العراق تماثيل وأنصال رماح ومصنوعات زجاجية وفخارية بعض منها يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ويقال إنه تم إرسالها بأمر من الجنرال بتراوس الذي كان قائد القوات الأميركية في أفغانستان بعد أن تم تصويرها وتأريخها وفهرستها وتغليفها حسب الأصول من قبل خبراء في نيويورك هذا ما أكده جنرال أميركي.

لكن المتحف الوطني يفيد بأن لا وجود لهذه العائدات ويؤكد ضباط عراقيون أنهم بحثوا في كل مكان ولم يجدوها وقد علق ناطق باسم المالكي قائلاً: ليقدم لنا الأميركيون دليلاً بأنهم سلمونا فعلاً الـ ٦٣٨ تحفة.

ومن بين الكنوز تمثال دون رأس للملك أنتمين من مدينة لاغاش الذي سرق من المتحف ويعود تاريخه إلى ٤٤٠٠ سنة أيضاً زوج من الأقراط من ذهب النمرود و ٣٦٢ لوحة كتابة مسمارية هناك أيضاً تحف حديثة العهد منها كلاشينكوف ملبس بالكروم من بدايات صدام حسين وآخر مطلي بماء الذهب لم تتم إعادته.

لكن عملية التسليم الأخيرة أثارت التساؤلات أين هي ٦٣٨ قطعة المعادة عام ٢٠٠٨.

هذا السؤال وجهته صحيفة لوموند حينها إلى المديرة المسؤولة في المتحف التي أعربت عن أسفها وعجزها عن الجواب إلا بقولها: لقد شكل رئيس الوزراء لجنة خاصة للبحث عن الآثار، أيضاً توجهت الصحيفة بالسؤال إلى مدير قسم البحث عن الآثار القديمة المفقودة والمكلف البحث على الحاسوب وسبر أكبر عدد ممكن من بيانات صالات العروض التي يجري فيها المزاد العلني لمحاولة تحديد بيع القطع المسروقة ولتنفيذ هذا العمل الضخم تم فرز ثلاثة موظفين فقط أحدهم يقرأ الإنكليزية وجهازي حاسوب عفا عليهما الزمن ولم تخصص أي ميزانية يقتضيها الذهاب إلى مكان البيع المشبوه.

في عام ٢٠٠٨ تم الإعلان عن الحاجة لتجنيد نحو ١٠٠٠٠ شخص للعمل بما يسمى شرطة أو أمن التراث على أن يتم تدريبهم لدى الأميركيين غير أن العدد الذي تم تطويعه لم يتجاوز مئتي شخص، فريق منهم يتواجد في بغداد قابع في المكاتب دون جدوى يضاف إلى ذلك إهمال الحكومة التي يقع على عاتقها مهمات كبرى.

وجاءت داعش لتقوم بالبقية مما فعله الاحتلال الأميركي، وقصة تدمير المتاحف والأوابد العراقية والسورية مازالت معروفة وستبقى شاهداً على القاسم المشترك العدواني الذي يجمع داعش مع الاحتلال الذي صنعها.

وقلعة دمشق كانت هدفاً

طال العدوان الإسرائيلي على مدينة دمشق ومحيطها الذي وقع منذ عدة أيام

قلعتها الأثرية، متسبباً بأضرار مادية جسيمة في المباني والمكاتب الإدارية في القلعة، ودمار كبير في المعهد التقاني للفنون التطبيقية والمعهد التقاني للآثار، كما أدى استهداف آخر إلى أضرار في المركز الثقافي العربي في كفرسوسة.

وزيرة الثقافة الدكتورة لبانة مشوح كانت قد أكدت أن الأماكن المستهدفة هي مؤسسات تعليمية وثقافية، وقالت: «العدوان هو دليل لا يرقى إليه الشك على إجرام هذا الكيان العنصري الذي يستهدف الإنسان في فكره وقيمه وحضارته وهويته».

وأشارت وزيرة الثقافة إلى الرمزية الكبيرة التي تحملها قلعة دمشق بالنسبة للسوريين وتاريخهم الوطني ومحبي سورية في العالم.

وتوجهت إلى منظمة اليونيسكو والمنظمات الدولية المعنية بالشأن الثقافي والتراثي والضمير الإنساني بالتحذير من هذه الجرائم ضد الإنسان في سورية، داعية إلى تحريك الرأي العام العالمي والغربي ولفت النظر إلى هذه الجريمة بحقّ الممتلكات الثقافية الإنسانية من خلال هذه المنظمات الدولية لتغير مواقفهم.

من جهته أوضح مدير عام المديرية العامة للآثار والمتاحف (نظيرعوض) أن الأضرار طالت المكاتب الإدارية لقلعة دمشق وأدّت إلى دمار كبير في معهد الفنون التطبيقية والمعهد المتوسط للآثار، قائلاً: «كلها مؤسسات ومبان تعليمية في قلعة دمشق وهي موقع أثري بامتياز وفضاء ثقافي وتنموي واجتماعي ليس له أي صفة عسكرية على الإطلاق»، مبيناً أن الفرق الفنية التابعة للمديرية تقوم الآن بمسح أولي لتقييم الأضرار.

وأشار عوض إلى أن الدمار طال مباني تاريخية منها المعهد المتوسط للفنون التطبيقية، وهو معهد يؤهل ويدرس طلاباً وطالبات يعلمهم ويدعمهم باختصاصات مختلفة تشرف عليه وزارة الثقافة، وهو معهد للتعليم وليس له أي صفة عسكرية وداعم للصناعات الإبداعية، كذلك أصاب المعهد المتوسط التقاني للآثار والمتاحف وألحق ضرراً كبيراً بالمبنى، وأدى إلى تلف في عدد من أجهزة الحواسيب ومعدّات التصوير والتدريب الحديثة.

وقال عوض: «ما نراه في الركام مكاتب إدارية لمشروع وطني رائد في قلعة دمشق تصرف عليه الحكومة مئات المليارات، هدفه صيانة القلعة وترميمها وتحويلها لمكان للزيارة، والعدوان الذي استهدفها هو تدمير لهذه المكاتب والأرشيف الرقمي والورقي لهذا المشروع الذي يحتوي أيضاً على عشرات الدراسات الميكانيكية والدراسات الترميمية لهذا المكان الأثري وأجهزة أخرى كانت محفوظة».

ومن جانبها أشارت مديرة المركز الثقافي العربي في كفرسوسة إليزا قاسة إلى أن الأضرار التي أصابت المركز اقتصرت على الماديات وأكدت أن استهداف الأماكن الثقافية والأثرية هو تأثير على حضارة البلد.

حشرجات (على وقع اهتزاز)

غسان كامل ونوس

تُرى..
ما الذي قد تبقّى
من الحلم
بعد ارتعاشِ الأديمْ؟!
تُرى كم سؤولٍ سيشقى
وقد غار دفءٌ أليفْ؟!
فهل ساد صمتٌ رجيمْ؟!
ينامُ الوجيعُ
على حشرجاتِ الدنى
ووقعِ انكسارِ المنى
ويسهَرُ خلٌ على نزفِ نزْعٍ
يجوب الحنايا
وظلّ الحكايا سراب
وطيف الرؤى في السواري يباب
وهجسُ المدارِ خَواءٌ مقيمْ
فنقّبْ عن النَفَسِ المستباحِ
وعرّجْ على شاخصاتِ التنائي
أقمنَ الرجاء لفيضٍ رحيم!

×

يطوف المنادي:
أما من دليلٍ؟!
أما من ثغاءٍ؟!
أما من صدى؟!
ويهذي الركامُ:
استراحَ الرضيعُ بحضني
ويلغو الحطامُ:
يظنّ يديها تهزّ
وأغفت فحار الندى!
يقول الظلامُ:
تسلّى بجفني
يناغي غباراً
يداري دثاراً
وترحلُ عنهُ الأمومةُ
ترحلُ معه الأمومةُ
تمضي السلافةُ
صوب صقيع الردى
تُرى مَنْ ألدُّ شقاءً؟!
تُرى منْ أشدُّ بلاءً
دفينٌ تساوت لديه الطقوسُ
أمِ الحيّ في مرتجاهُ ينوسُ
وضاق عليه المدى؟!

هُزِّي بنا هذا الترابَ

توفيق أحمد

هُزّي جُذورَ الصّحْوِ فينا يا شآمُ
هُزّي وفي زمنِ الزلازلِ
ينحني الصّبرُ المَنيعُ إلى ركابِ سُروجِهِ..
ويدُ الغياهِبِ تَصْدَعُ الوقْتَ المُدمّى
والأغنياتُ، وما تزالُ نديّةً كالعشبِ
فوق ثَرى هذا الترابِ
وما هَزّتْهُ كارثةٌ ولا زلزالُ
هُزّي بنا هذا الترابَ على ضَراوةِ جُرْحِهِ
كالصُبحِ يَنْهَضُ منهُ والآمالُ
مُرّي بنَا.. صار الجفافُ المُرُ خُبزاً لليتامى
صاغَ من أوجاعنا فَصْلَ الهطولِ
فَكَمْ على خَطْوِ العبيرِ تكسّرَتْ أغلالُ
نصحو على وجعِ الترابِ دماً ينزُّ
وكُلُّ خَفْقَةِ نبضةٍ مَوّالُ
تَمضي تَشُدُّ بقبضتيها كُلّ شبرٍ من ثراها
ثمّ تنهضُ والبلادُ مُثيرةٌ
نَهَضَتْ حياةً من رُكامِ زلازلِ المجهولِ
ثُمّ هَبّتْ والمدى أطلالُ
هذا زمانُ البَغْيِ..
زلزالٌ يَمُرُّ على أنقاضِ زلزالٍ يَمُرُّ
ونَحْنُ هاماتٌ تَشُقُّ طريقَها نحو الخلودِ
وعَصْفُ عاصِفنا يُدَوّي
والهديلُ على نفيرِ الصّحوِ فرسانٌ
على صَهَواتِهم داسوا الرّدى ومضَوْا
إلى عليائهم ورجالُ
والعابرونَ من المنافي للمنافي
وهُمُ مَنْ مَرّوا بنا وظلالُ
وطنٌ؛ وبالأمسِ القريبِ يَتيهُ
كم يتراكمُ الشُهداءُ فيه،
على عمودِ الكهرباء هناكَ مليونٌ من اللوحات
يُحْرِجُها السؤالُ
وإذا نجونا من مماتٍ وافدٍ
هي ذي الحياةُ
ومَنْ سيُنجينا إذا ابْتَعَدَ المآلُ
هي ذي الحياةُ نُحبُها..
ونُحبُّ خوفاً راكناً فينا..
ونَبْهَتُ حين لا يغزو جوارحَنا القَلَقْ
هي ذي الحياةُ تَبَدُّدٌ وزوالُ
وإذا رَمَتْ كُلُّ المواجعِ فوق كاهِلِنا رزاياها
سيبقي الوعْدُ بالأَمَلِ المُرجّى
سيّدَ الخطواتِ؛
نورٌ، همّةٌ
ونسورُ جيلٍ قادمٍ وجبالُ...

زاوية حادة..

حروب الثقافة...

ديب علي حسن

من المعروف أن الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية وبالتالي هي التطور الأكثر نورانية وبهاء ونقاء وهي خط الدفاع عن الوجود، وجود أي شعب له تاريخه وحضارته وقيمه ..هي حارسه الأمين الذي يصون ماضيه وحاضره ويضيء دروب غده.

من هنا كانت الحروب في أساسها حروباً ثقافية بلا منازع، وكتاب صموئيل هنتغتون صراع الثقافات خير دليل على ذلك.

الثقافة التي لا تملك جذوراً ولا تاريخاً ولا رؤى مستقبلية، دائماً تلجأ إلى العدوان ...هذا ما رأيناه بتاريخ امبرطوريات سادت ثم بادت لأنها لم تكن تعير الجانب الثقافي والإنساني أي جانب.

والولايات المتحدة على الخط نفسه مع كل ما أنجزته في المجال التقني ولكنها تغرد خارج الفعل الإنساني وهي تمد الكيان الصهيوني بهذا الطغيان أيضاً.

ومن أدوات عدوانهما استهداف كل معالم التاريخ والبنى الثقافية والمفكرين والمبدعين ...هل نذكر بجرائم الكيان الصهيوني باغتيال غسان كنفاني وكمال ناصر والكثيرين من المفكرين والمبدعين...

اليوم..

وخلال الحرب على العراق فعلت واشنطن ما تفعله داعش الآن من تدمير وسرقة الآثار ومعالم الثقافة والرقي.

والكيان الصهيوني يكمل هذا العدوان المستمر الذي يستهدفنا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ..ولكنه كما باء سابقوه بالعجز والإخفاق سيلحق بهم ..فالثقافة والتاريخ ليسا ركاماً تذروه أدوات العدوان ...بل هما الحضارة والفعل الإنساني الذي لايمكن هزيمته.

نقش سوري

خالد الأسعد (١٩٣٤ - ١٨ آب ٢٠١٥)

وفاء يونس

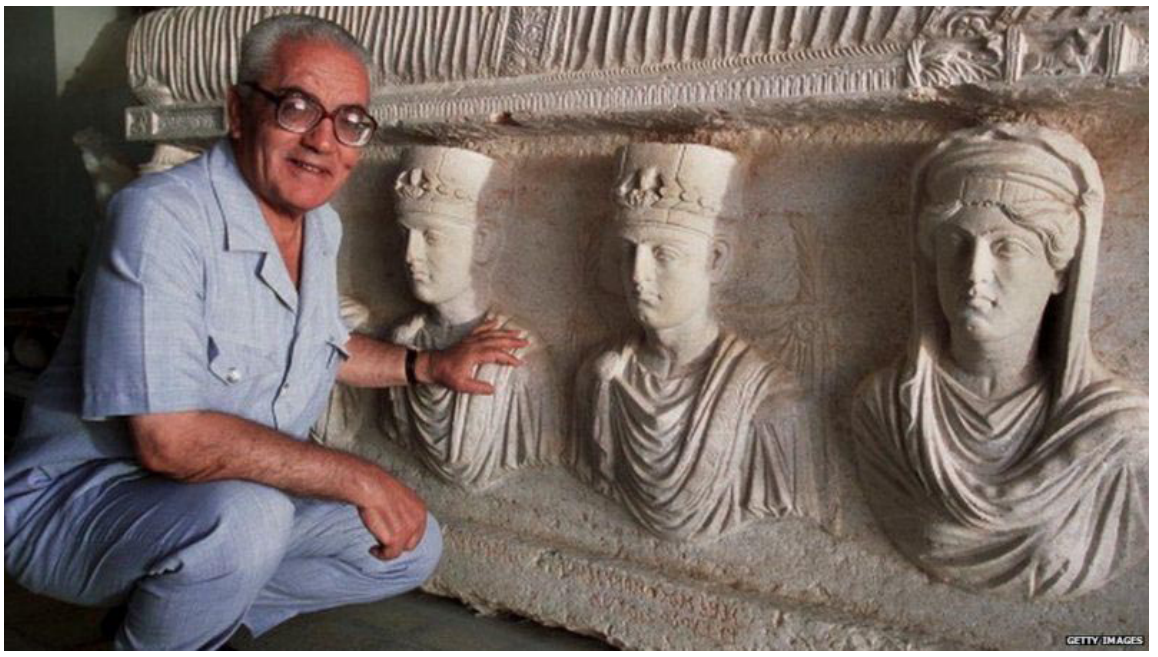

مازال دمه يحمي تراث تدمر، عالم الآثار الذي افتدى التراث الإنساني بروحه، ولم يفرط به، خالد الأسعد إيقونة الفداء عالم آثار سوري، شغل منصب مدير آثار ومتاحف تدمر بين عامَي ١٩٦٣-٢٠٠٣.

عمل مع عدة بعثات أثرية أميركية وفرنسية وألمانية وإيطالية وغيرها خلال سنوات عمله الطويلة، ونال عِدة أوسمة محلية وأجنبية. وكان يتحدث عدة لغات أجنبيةَ إضافة لإتقانه اللغة الآرامية (لغة سورية الطبيعية قبل آلاف السنيين) وكان له نحو ٤٠ مؤلفاً عن الآثار في تدمر وسورية والعالم.

١٩٦٢-١٩٦٣: رئيس دائرة الحفريات في المديرية العامة للآثار والمتاحف في وزارة الثقافة.

١٩٦٣-٢٠٠٣: مدير آثار ومتاحف تدمر في المديرية العامة للآثار والمتاحف.

كان رئيساً أو مشاركاً في بعثات التنقيب والترميم العاملة بتدمر وبعثات أجنبية ووطنية ومشتركة، كالمشروع الإنمائي التدمري خلال الفترة بين ١٩٦٢-١٩٦٦، حيث اكتشف القسم الأكبر من الشارع الطويل وساحة المصلبة (التترابيل) وبعض المدافن والمغائر والمقبرة البيزنطية في حديقة متحف تدمر واكتشاف مدفن بريكي بن أمريشا (عضو مجلس الشيوخ التدمري).

- مدير البعثة الوطنية للتنقيب والترميم في تدمر وباديتها.

- مدير الجانب السوري في جميع البعثات السورية والأجنبية المشتركة العاملة في تدمر (السويسرية - الأميركية - البولونية - الفرنسية - الألمانية).

العمل في المؤسسات الدولية أو الإقليمية أو العربية

خبير وطني لتطوير السياحة الثقافية، برنامج CDTP للتطوير الأثري في موقع تدمر، في مشروع مشترك بين المديرية العامة للآثار والمتاحف ووزارة السياحة واليونيسكو، بتمويل من الاتحاد الأوروبي.

خبير وطني، برنامج الإدارة المحلية MAM، في مشروع مشترك بين المديرية العامة للآثار والمتاحف ووزارة الإدارة المحلية والمفوضية الأوروبية.

مشاركات دولية

معارض الآثار والندوات، والمؤتمرات العلمية، والندوات في إيطاليا، واليونان، والنمسا، والهند، وإيران، وبريطانيا.

عام ١٩٨٨ عثر على منحوتة حسناء تدمر الرائعة الجمال، وكذلك مدفن أسرة بولحا بن نبو شوري، ومدفن أسرة زبد عته، ومدفن بورفا وبولحا، ومدفن طيبول؛ كما أشرف على ترميم بيت الضيافة عام ١٩٩١م، وكان له الشرف مع البعثة الوطنية الدائمة للتنقيب والترميم في تدمر بإعادة بناء أكثر من ٤٠٠ عمود كاملاً من أروقة الشارع الطويل ومعبد بعلشمين ومعبد اللات وأعمدة ومنصة وادراج المسرح، وكذلك الأعمدة التذكارية الخمسة المعروفة، إضافة لإعادة بناء المصلبة وأعمدتها الستة عشرة الغرانيتية لمدخل حمامات زنوبيا، ومحراب بعلشمين، وجدران وواجهات السور الشمالي للمدينة، وترميم أجزاء كبيرة من أسوار وقاعات وأبراج، وممرات القلعة العربية (قلعة فخر الدين) وتركيب جسر معدني فوق خندقها وافتتاحها للزوار؛ ثم ترميم السوار الخارجية والأبراج في قصر الحير الشرقي بطول ٣٠٠٠ متر بارتفاع وسطي ٣ أمتار وإعادة بناء ٢٠ عموداً مع تيجانها في الجامع (جامع هشام)، إضافة لبناء بيت الضيافة في الموقع عام ١٩٦٦م، وقام بربط الموقع بطريق اسفلتي معبدة عام ٢٠٠٠م.

الدراسات والأبحاث

«تدمر (أثرياً . تاريخياً. سياحياً) بالتعاون مع عدنان البني، ١٩٨٤

«مرحباً بكم في تدمر: الدليل السياحي الأول عن تدمر»، مع عبيد طه، نُشر بخمس لغات، ١٩٦٦م.

«قصر الحير الشرقي: مدينة في الصحراء»، بالإنكليزية بالتعاون مع البعثة الأميركية في تدمر وجامعة ميتشيغان، ١٩٧٨م.

«تدمر أثرياً وتاريخياً وسياحياً»، مع الدكتور عدنان البني، نُشر بست لغات، ١٩٨٤ م.

«المدفن رقم ٣٦»، بالتعاون مع أندرياس شميدت كولينيه من البعثة الألمانية في تدمر وجامعة فيينا، باللغة الألمانية، ١٩٩٤م.

«سورية في العهد البيزنطي والإسلامي»، مشاركة في الإعداد، صدر بالألمانية في ألمانيا والنمسا، ١٩٩٣م.

«المنحوتات التدمرية»، بالمشاركة مع آنا سادورسكا وعدنان البني بالتعاون مع البعثة البولونية، باللغة الفرنسية، ١٩٩٤م.

«الكتابات التدمرية واليونانية واللاتينية في متحف تدمر»، بالمشاركة مع ميشيل غافليكوفسكي، باللغة الإنكليزية، ١٩٩٧م.

«دراسة أقمشة المحنطات والمقالع التدمرية»، بالمشاركة مع أندرياس شميدت كولينيه، باللغة الألمانية، ٢٠٠٠م.

«أهم الكتابات التدمرية في تدمر والعالم»، بالمشاركة مع جان-بابتيست يون، باللغة الفرنسية، ٢٠٠١م.

«آغورا تدمر»، بالمشاركة مع جاكلين دنزر وكريتيان دلبلاس، باللغة الفرنسية، ٢٠٠٥م.

«زنوبيا ملكة تدمر والشرق»، بالمشاركة مع البروفيسور فيين أوفه ويدبرغ هانسن جامعة أورهوس، الدنمارك، باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، والبولندية ٢٠٠٦م.

مخطوط بعنوان «قبائل البدو في منطقة تدمر»، ١٩٦٦م.

مخطوط «النبات والبدو في قصر الحير الشرقي»، ١٩٦٦م.

مشاركة في الموسوعة الجغرافية السورية «تدمر وباديتها «، ١٩٩٥م.

مشاركة في الموسوعة العربية السورية «أفقا تدمر»، ١٩٩٩م.

مخطوط «كيف تتعلم الكتابة التدمرية والآرامية»، لم يطبع.

المقالات المنشورة

مجموعة دراسات وأبحاث أثرية وتاريخية حول تدمر وآثارها والمكتشفات الأثرية فيها، نشرها في عدة أعداد من مجلة الحوليات الأثرية السورية، في الأعوام ١٩٦٥-٢٠٠٦م.

مجموعة دراسات تاريخية وفنية مقارنة في كتالوجات معارض الآثار السورية حول العالم، تتعلق بالقطع الأثرية التدمرية المشاركة في معارض دولية، في بولونيا، وفرنسا، وإيطاليا، واليونان، واليابان، في الأعوام ١٩٧٥-٢٠٠٣م.

في ١٨ آب - ٢٠١٥ قام تنظيم (داعش) بإعدام الأسعد بقطع رأسه، وتعليق جُثته على عمود كهربائي في شوارع مدينة تدمر، لأنه رفض البوح بأسرار ومكان الآثار التي يريدون سرقتها وتدميرها، وقد نال ومنح العديد من الأوسمة على رأسها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة وغيره من الأوسمة العالمية، وصدرت عن حياته عشرات الكتب وآلاف الدراسات والمقالات، وكانت جريمة قتله وصمة عار بتاريخ من صنع داعش وداعش وكل أدوات الإرهاب.

إخناتون وشامبليون..

من المعروف أن حملة نابليون على مصر عملت على نهب الآثار والكنوز والمخطوطات التي يمكن الحصول عليها، وقد قام فريق مرافق للحملة بذلك، واستطاع شامبيلون فك الكتابة الهيروغليفية.

ولكن الهدف لم يكن العلم للعلم إنما الروح العدائية وهذا ما جسده تمثال في فرنسا يمثل شامبيلون وهو يضع قدمه فوق رأس إخناتون، مي عرفة تابعت القضية وكتبت.

وقد نشر فيديو منشور على اليوتيوب في تشرين الثاني ٢٠١٢، وأثار حالة من الاستياء والغضب لدى المصريين سواء داخل مصر أو في فرنسا، حيث عرض لقطات لتمثال يصور العالم الفرنسي الشهير «جون فرانسوا شامبليون»- الذي قام بفك رموز اللغة الهيروغليفية- وهو يتكئ بإحدى قدميه على رأس تمثال مصري قديم مكسور يعتقد إنه لـ «إخناتون»، ويقال أن التمثال موجود في كلية «الكوليج دو فرانس Collège de France» بالحي اللاتيني بباريس، وليس في جامعة «السوربون Sorbonne» كما يعتقد الكثيرون.

التمثال يعود للنحات الفرنسي المشهور «فردريك أوجست بيرتولدي»صاحب «تمثال الحرية»، وانتهى بيرتولدي من صناعة التمثال المثير للجدل عام ١٨٦٣، وقد عُرض هذا التمثال للمرة الأولى في معرض تشكيلي بباريس عام ١٨٧٥، وبعدها وخلال العام ذاته وُضع في مكانه الحالي في ساحة كلية Collège de France، ويذكر أنه تم صناعة نسخة جديدة من التمثال وُضعت مؤخراً في ساحة جامعة «جرونوبل» جنوب فرنسا.

ويحمل التمثال عبارة منحوتة على رأس إخناتون ترجمتها بالعربية «أنا من أجل مصر ومصر من أجلي»، وهي العبارة الشهيرة التي كان

بالفعل يرددها شامبليون، من فرط عشقه بالحضارة المصرية وآثارها، ولا يختلف الأمر كثيراً لدى النحات بيرتولدي، الذي كان مهتماً هو الآخر بعلم المصريات.

تمثال شامبليون وهو يطأ بقدمه رأس إخناتون

وازدادت المطالبات بتدخل وزارتي الثقافة والآثار رفضاً لهذا التمثيل الذي اعتبره الكثيرون يشكل إهانة للحضارة المصرية، إلى أن قام وزير الثقافة المصري الدكتور جابر عصفور- وزير الثقافة الأسبق- عام ٢٠١٤، بإرسال خطاب إلى السلطات الفرنسية من أجل إزالة تمثال عالم المصريات الفرنسي الشهير شامبليون، قائلاً في إحدى الصحف الرسمية آنذاك: «معالجة هذه المشكلة تتطلب الحكمة ويجب حل المشكلة بالتفاهم والحوار وفتح قنوات للتواصل فى هذا الشأن مع الجانب الفرنسي الذي تربطه بمصر علاقات متينة».

كما أرسلت الدكتورة كاميليا صبحي، خطاباً لوزارة الثقافة الفرنسية تطالب بإزالة تمثال شامبليون باعتباره تمثالاً مسيئاً للحضارة المصرية، لكنها صرحت أن فرنسا تصر على موقفها ولن يتم إجبارها على فعل شيء، وأننا نعرف ما قدمه شامبليون من خدمات جليلة للحضارة المصرية، ومن هذا المنطلق ندرك أن هذا التمثال مجرد رؤية فنان.

ويعتقد بعض علماء المصريات بأن شامبليون أعلن عن فك رموز حجر رشيد في نفس المكان بالكلية الفرنسية عام ١٨٢٢ وهو نفس المكان الذي وضع فيه التمثال عام ١٨٧٥، ورغم أن المصريين يقدرون الدور الذي قام به شامبليون في فك رموز اللغة الهيروغليفية القديمة، حتى أنهم وضعوا اسمه على أحد شوارع القاهرة والإسكندرية، لكن هذا لا يعني أبداً أن يكون المقابل هو تمثال يطأ بإحدى قدميه رأس تمثال يرمز للحضارة المصرية.

نجاة قصاب حسن بين المحاماة والأدب والفن

أحمد بوبس

في ذاكرتنا الثقافية الكثير من الأدباء والمثقفين موسوعيي المعرفة، وهذا ساعدهم على خوض العديد من المجالات الثقافية بنجاح وتميّز، ومنهم المحامي نجاة قصاب حسن. فإضافة إلى أنه كان محامياً ناجحا، كان إعلامياً وموسيقياً وشاعراً لا يقل نجاحه فيها عن المحاماة.

وبعيداً عن المحاكم وقضاياها، سخّر نجاة قصاب حسن مهنته لخدمة الناس وتوعيتهم إعلامياً، فقدم عبر إذاعة دمشق برنامجاً في التوعية القانونية حمل اسم (المواطن والقانون)، بدأ عام ١٩٥٢ واستمر لمدة خمسة وعشرين عاماً، وكان يجيب فيه عن أسئلة المواطنين في القضايا القانونية، وكان يوجّههم نحو حلول توافقية بعيداً عن المحاكم وغوص القضايا فيها لسنوات كثيرة.

وبعيداً عن المحاماة خاض نجاة قصاب حسن غمار الصحافة، فساهم مع عدد من الأدباء في إصدار جريدة (عصا الجنة) وكان أحد كتابها، كما كتب زاوية يومية في جريدة (الرأي العام) لصاحبها أحمد عسة، وحملت الزاوية عنوان (بالعربي الفصيح)، وكان يتناول فيها بالنقد الأحداث السياسية والاجتماعية اليومية، وبدأها عام ١٩٥٢ واستمرت لسنوات عديدة.

وكان نجاة قصاب حسن موسيقياً، فقد كان يجيد العزف على آلتي القانون والعود، وتولى إدارة المعهد الموسيقي الشرقي عام ١٩٥٠، ونشر العديد من الدراسات الموسيقية، وفي المكتبة الموسيقية لإذاعة دمشق الكثير من الأغاني من كلماته، منها أغنية (الفدائي) تلحين وغناء نجيب السراج ولوحتا رقص السماح (المزاهر) و(أيا مرادي) تلحين عدنان منيني، وقدمتهما فرقة فجر الأندلس. وكنت على معرفة عميقة به، وأجريت معه حواراً حول الموسيقا نشرته في صحيفة الثورة، عندما كنت أحد صحفيي قسمها الثقافي.

وعندما أحدثت وزارة الثقافة عام ١٩٥٩ تولى نجاة قصاب حسن مدير الفنون فيها (مديرية المسارح والموسيقا الآن) بعد الدكتور صباح قباني، وقام بإحداث فرقة أمية للفنون الشعبية، وتولى إدارتها لعدة سنوات، كما أسهم بتأسيس المسرح القومي ومسرح العرائس.

وفي جانب آخر كان لنجاة قصاب حسن الكثير من المساهمات الثقافية، من ذلك أنه اشترك في وضع سيناريو أول فيلم أنتجته المؤسسة العامة للسينما (سائق الشاحنة) مع السينارست التشيكي (بوشكو فوتشينيتش). وكان يتقن اللغة الفرنسية، وهذا ساعده على ترجمة بعض الآثار الأدبية عن الفرنسية، منها مسرحية (الاستثناء والقاعدة) للكاتب الألماني (برتولت بريشت)، وقدّمها المسرح القومي عام ١٩٦١ بإخراج شريف خزندار. كما ترجم مسرحية (مدرسة النساء) للكاتب المسرحي الفرنسي موليير، وقدّمها المسرح العسكري بإخراج ياسر العظمة.

وإتقانه للغة الفرنسية أنقذني مرة من ورطة، ففي عام ١٩٨٢ كنا نحضر مهرجان تدمر الموسيقي الذي أقامته وزارة السياحة لعدة أيام، وفي أحدها علمت أن هناك محاضرة عن تدمر لعالم آثار فرنسي، وأن المحاضرة بالفرنسية وليست مترجمة إلى العربية، فأصابتني خيبة أمل وارياك، لأنني صحفي ولن أستطيع الكتابة عنها، وشاهدني الأستاذ نجاة بهذا الارتباك فسألني ما بي، فأخبرته بالأمر، فقال لي: (ألا تقبل أن أعمل لك مترجماً فورياً؟)، فرحبت بالفكرة، وبالفعل جلست بجانبه في الصف الأول، وكان يترجم لي في أذني وأنا أدوّن الترجمة، وبعد عودتي إلى دمشق كتبت مقالة عن المحاضرة في الصفحة الثقافية بالثورة.

وفي المسرح وضع نجاة قصاب عدة مسرحيات، منها مسرحية (الحياة حلم) عام ١٩٧٠، ومسرحية (الغانية) عام ١٩٧١، وأوبريت (وردة) عام ١٩٦٦، كما وضع العديد من الكتب في مواضيع ثقافية متنوعة، منها (فن العرائس وتحريكها) عام ١٩٦٣، ومن مؤلفاته المهمة كتاب (الفدائيون العرب امام محكمة زيورخ) عام ١٩٧٠، ويتضمن دفاعاً قانونياً عن الفدائيين الفلسطينيين الذي قاموا بالعملية الفدائية فيها. ومن كتبه الأخرى(حديث دمشقي)، وهو كتاب في فن السيرة والمذكرات، وصدر عام ١٩٨٨، و(جيل الشجاعة) عام ١٩٩٢، و(الحبة والسنبلة) عام ١٩٩٤، وآخر مؤلفاته كتاب (صانعو الجلاء) عام ١٩٩٩، وصدر بعد رحيله عام ١٩٩٧.

وكتب الكثير من الدراسات في مجلة المعرفة منذ بداية صدورها في آذار ١٩٦٢، منها دراسات (تعميمات في أسس نهضتنا الفنية) في العدد الثاني، و(تأملات في النقد المسرحي) في العدد الثالث، و(برتولد بريخت) في العدد السابع عشر.

وكان للأدب الساخر نصيب وافر من كتابات نجاة قصاب حسن، فقد أصدر مجلة (القزيطة) الشعرية التي كان ينتقد فيها أجواء القصر العدلي بدمشق، كما أصدر مجلة ثانية باسم (القنديل) تتناول بالسخرية عالم الأدب والأدباء، و(القنديل) حمله بعد ذلك اسم مقهى أسسه في دمشق تحت مكتبه في شارع ٢٩ أيار، وكان ملتقى الأدباء والمثقفين. كما ساهم إلى جانب الشاعر سليمان العيسى وغازي أبو عقل في تحرير مجلة (الكلب) التي كان يصدرها الأديب صدقي اسماعيل في خمسينيات وستينيات القرن العشرين. وكان بارعاً في الرسوم الكاريكاتيرية، ورسم بأسلوب كاريكاتيري الكثير من الوجوه الأدبية والاجتماعية، وبعد وفاته أقامت مكتبة الأسد معرضاً لهذه الرسوم ضمن فعاليات معرض الكتاب الخامس عشر ١٩٩٩.

وفي الجانب الأدبي كان نجاة قصاب حسن شاعراً مجيداً، كتب العديد من القصائد الوطنية والوجدانية والغزلية، لكنه لم يصدرها في ديوان شعري، إلا أن معجم البابطين لشعراء العربية نشر له خمس قصائد، هي (أعطني الدهر)،(كن رفيعاً)،(بيتنا)،(إني حبيبك)،(حصالة العمر)، ومما يقوله في قصيدة (حصانة العمر):

فطفتُ أطيبَ مابي ... وسغتُ أحلى شرابي
زهرُ الربيع لديكـ ... ـن... والربيعُ ببابي
والقمحُ نضجُ حزيرا ... ـن ضاحكاً في الرحابِ
وكرمُ أيلول فيه ... رحيقُ كرمٍ مُذابِ

وكان نجاة قصاب حسن من ظرفاء دمشق، حدثت معه الكثير من الحوادث الطريفة، منها أنه دعا ذات يوم الأديب صدقي اسماعيل إلى الغداء، فقبل صدقي اسماعيل الدعوة بشرط ألا تكون في مطعم القنديل الذي يملكه قصاب حسن، بل اشترط أن تكون الدعوة في مطعم الشموع. وفي الموعد المتفق عليه ذهب صدقي اسماعيل إلى المطعم. أما نجاة قصاب حسن فقد ضرب أخماساً بأسداس، فوجد أن الدعوة ستكلفه (بقرة جحا) فلم يذهب. وتناول صدقي اسماعيل الغداء، ثم طلب ورقة بيضاء من النادل، ونظم عليها قصيدة هجاء في نجاة قصاب حسن، نشرها في جريدته (الكلب)، وجاء فيها:

ذهبنا للشموع لكي نراكِ
فكان الكل فيه ماعداكِ
أتدعونا وتهرب ذاك أمر
غريب ليس يصدر عن سواكِ
لو أن جاحظ العينين حيٌ
لخصّك بالبلاغة واصطفاكا
ودبّج صفحتين عليك فوراً
وقلتُ له ألا سلمت يداكا

النظرية السياسية الرابعة كمواجهة للوضع الراهن ٢-٢

ترجمة د. ثائر زين الدين

الكسندر دوغين

لا يمكن أن تقدّم النظرية السياسية الرابعة نفسها إلينا من تلقاء ذاتها.. قد تظهرُ وقد لا تظهر.. الشرط المسبق لظهورها هو الاختلاف وعدم الوفاق.. الاختلاف مع ما بعد الليبرالية كممارسة عالمية، ومع العولمة، ومع ما بعد الحداثة، ومع «نهاية التاريخ»، ومع الوضع الراهن، ومع التطور العطالي للعمليات الحضارية الرئيسة في بداية القرن الحادي والعشرين.

لا يفترضُ الوضعُ الراهن والعطالةُ الذاتية أيّ نظريات سياسيّة على الإطلاق.. الكوكبُ(العالم) المعولم، يجب أن تحكمه فحسب القوانينُ الاقتصاديّةُ والأخلاقُ العالميّةُ « حقوقُ الإنسان».. حيث تُستبدَلُ القراراتُ السياسية جميعها بقراراتٍ فنيّة.. تحلّ التقنيّة والتكنولوجيا محل كل شيء آخر (الفيلسوف الفرنسي آلان دي بينوا يسمي ذلك «الحوكمة»، «الإدارة»).. يشغلُ مكانَ السياسيين الذين يتخذون القرارات التاريخيّة، مديرون وتقنيون يقومون بتحسين الخدمات اللوجستية الإدارية.. كتلة واحدة من الأفراد تساوي كتلاً كاملةً من الناس، لذلك، فإن الواقع ما بعد الليبرالي (بتعبير أدق، الافتراضي، الذي يحل محل الواقع بشكل متزايد) يؤدي مباشرة إلى الإلغاء الكامل للسياسة.

وثمّة من يعترض هنا: إن الليبراليين «يكذبون» عندما يتحدثون عن «نهاية الأيديولوجيات» (كان هذا هو جوهر الجدل الذي خُضتُه مع الفيلسوف أ. زينوفييف) «في حقيقة الأمر»؛ هم يظلون أوفياء لأيديولوجيتهم وينكرون ببساطة حق الوجود لأي أيديولوجية أخرى.. الأمرُ ليس كذلك تماماً.. عندما تصبح الليبرالية، من وجهة نظر أيديولوجيّة، المحتوى الوحيد للوجود الاجتماعي والتكنولوجي الحالي، فإنها لن تعود «أيديولوجيا»، إنها عندئذٍ حقيقة من حقائق الحياة، إنها نظام «موضوعي» للأشياء، ويصبح دحض ذلك ليس صعباً فحسب، بل عبثيّاً.. تنتقل الليبرالية في عصر ما بعد الحداثة، من مجال الموضوع إلى مجال الكائن.. وسيؤدي هذا في المستقبل، إلى الاستبدال الكامل للواقع، بالواقع الافتراضي.

نتصور النظريّة السياسيّة الرابعة كبديل لما بعد الليبراليّة، ولكن ليس كاتجاه أيديولوجي واحد في علاقته باتجاه أيديولوجي آخر، بل كفكرة معارضة من حيث المادة؛ تعارض الواقع القائم، قدر الإمكان؛ كهجوم غير موجود بعد، على ما هو موجود بالفعل.

لا يمكن أن تكون النظريّة السياسيّة الرابعة، خلال ذلك، استمراراً للنظريّة السياسيّة الثانية أو الثالثة.. لم تكن نهاية الفاشيّة، ونهاية الشيوعيّة، مجرد سوء استيعاب عرضي، بل كانت تعبيراً عن منطق التاريخ الواضح تماماً.. لقد تحدّتا روح الحداثة (الفاشيّة علانيةً تقريباً، والشيوعيّة بصورةٍ مُحجّبة - انظر إلى اعتبار الحقبة السوفيتيّة بمنزلة طبعة خاصة «أُخرويّة» للمجتمع التقليدي عند: م. أغورسكي أو س. كارا مورزا) وخسرتا.

هذا يعني، أن الكفاح ضد التحول ما بعد الحداثي لليبرالية، في شكل ما بعد الحداثة والعولمة يجب أن يكون مختلفاً نوعيّاً، يُبنى على مبادئ جديدة ويقدّم استراتيجياتٍ جديدة.

ومع ذلك، فإن نقطة البداية لهذه الأيديولوجيا - الممكنة، ولكن غير المضمونة، وغير القدرية، وغير المحددة سلفاً، والناشئة عن إرادة الإنسان الحرة، من روحه، وليس من العمليات التاريخية المجهولة - هي بالتحديد رفض (نفي) جوهر ما بعد الحداثة.

ومع ذلك، فإن هذا الجوهر (بالإضافة إلى اكتشاف الخلفية، غير الواضحة سابقاً للحداثة نفسها، التي حققت محتواها تماماً، لدرجة أنها استنفدت إمكانياتها الداخليّة، وتحولت إلى نمط إعادة التدوير المعاكس للمراحل السابقة) شيء جديدٌ تماماً، لم يكن معروفاً من قبل، ولم يتم التنبؤ به إلا بشكل حدسي ومجزّأ في المراحل السابقة من التاريخ الأيديولوجي والصراع الأيديولوجي.

النظرية السياسية الرابعة هي مشروع «حرب صليبية» ضد:

- ما بعد الحداثة،
- المجتمع ما بعد الصناعي،
- الفكرة الليبرالية المحققة في الممارسة،
- العولمة وأسسها اللوجستيّة والتكنولوجيّة.

إذا كانت النظرية السياسية الثالثة قد انتقدت الرأسماليّة من اليمين، والنظريّة الثانية من اليسار، فإنّ المرحلة الجديدة لم تعد تحملُ هذه التضاريس السياسيّة السابقة؛ وفيما يتعلق بما بعد الليبرالية، فمن المستحيل تحديد أين هو اليمين وأين اليسار.. ثمّة موقفان فحسب - الموافق (المركز) وغير الموافق (المحيط). وكلاهما عوليمان.

النظريّة السياسيّة الرابعة هي تركيز في مشروع مشترك واندفاع مشترك، لكل ما تبين أنه أُهملَ أو قُلِبَ أو أُذلّ في سياق بناء «مجتمع الفُرجة (العرض، السيرك) « (ما بعد الحداثة). «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ» (إنجيل مرقس ١٢: ١٠). يشير الفيلسوف ألكسندر سيكاتسكي، عن حق، إلى أهمية «الهوامش» لتشكيل عصر فلسفي جديد، مقدماً تعبيرَ «ميتافيزيقيا القمامة» على سبيل الاستعارة.

المعركة على ما بعد الحداثة تتعامل النظريّةُ السياسيّة الرابعة مع ولادةٍ جديدةٍ لعدوٍ قديم.. إنّها تعارض الليبرالية، مثلها مثل نظريتي الماضي السياسيّتين: الثانية والثالثة، لكنّها تعارضها في حالتها الجديدة.. تكمن الجِدّةُ المبدئيّةُ في هذه الحالة، في حقيقة أن الليبرالية فحسب من بين الأيديولوجيّات السياسيّة العظيمة الثلاثة، دافعت عن الحق في وراثة روح الحداثة، وحصلت على الحق في تشكيل «نهاية التاريخ» على أساس مقدماتها.

ويمكن لنهاية التاريخ هذه أن تكون متباينة من الناحية النظرية: «الرايخ الكوكبي» (إذا انتصر النازيون)، «الشيوعية العالمية» (إذا اتّضح أن الشيوعيين على حق).. ولكن تبين فيما بعد أن «نهاية التاريخ» كانت ليبرالية على وجه التحديد (وهو ما طرحه أوّلاً الفيلسوف أ. كوجيف، ثم أعاد إنتاجه: ف. فوكوياما). ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإن أي استئنافات للحداثة ومتطلباتها الأساسية-التي دعا إليها ممثلو النظريتين السياسيتين: الثانية (إلى حد كبير) والثالثة بدرجة أو بأخرى- تفقد ملاءمتها. لقد خسرَ هؤلاء معركة الحداثة (التي انتصر فيها الليبراليون).. لذلك، يمكن إزالة موضوع الحداثة (وكذلك التحديث، بالمناسبة) من جدول الأعمال.. وتبدأ المعركة من أجل ما بعد الحداثة.

وهنا تنفتح آفاقٌ جديدة أمام النظرية السياسية الرابعة.. فما بعد الحداثة التي تُطبّقُ اليوم (ما بعد حداثة ما بعد الليبرالية) تلغي بنفسها المنطق الصارم للحداثة - بعد أن تحقّقَ الهدف، تفقدُ مراحلُ الاقتراب منه أهميّتها.. يُصبحُ ضغط البنية الأيديولوجيّة أقل صرامة.. يتم استبدال ديكتاتورية الأفكار بديكتاتورية الأشياء، برموز الوصول (كلمة مرور تسجيل الدخول)، الباركود.. تظهر ثقوب جديدة في نسيج واقع ما بعد الحداثة.

ومثلما حاولت في حينها، النظرية السياسية الثالثة والنظرية السياسية الثانية (التي تُفهم على أنها نسخة أُخرى من التقليديّة) «السيطرةَ على الحداثة»؛ في نضالهما ضد الليبرالية (النظرية السياسيّة الأولى)، فثمةَ اليوم فرصة للقيام بشيء مماثل، مع ما بعد الحداثة، باستخدام «نقاط الضعف الجديدة» هذه بالذات.

لقد طورتِ الليبراليةُ في مواجهة البدائلِ الأيديولوجيّة الصريحة، وسائلَ فعالة لا تشوبها شائبة، قامَ انتصارها على أساسها. لكن هذه الوسائل بالضبط هي ما يحمل أكبر مخاطرة أو مجازفة لليبرالية نفسها.. من الضروري فحسب حساب نقاط الخطر الجديدة للنظام العالمي المعولم، وفك شيفرة رموز الوصول لاقتحام النظام.. المحاولة على الأقل.. فقد أظهرت أحداث الحادي عشر من أيلول في نيويورك أن هذا ممكن أيضاً من الناحية التكنولوجية.. إنّ لدى المجتمع الشبكي ما يقدّمه حتى لخصومه المخلصين.. على أية حال، من الضروري أولاً وقبل كل شيء، أن نفهم ما بعد الحداثة والوضع الجديد بعمق، بما لا يقل عن فهم ماركس لبنية الرأسماليّة الصناعيّة.

يجب على النظرية السياسية الرابعة، في عصر ما بعد الحداثة، وفي مرحلةِ القضاء على برنامج التنوير، وظهور المجتمع المحاكي، أن تستمد «إلهامها الأسود»، باعتباره حافزاً للمعركة، وليس قدراً مرسوماً.. ومن هنا يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات العمليّة، فيما يتعلق ببنية النظرية السياسية الرابعة.

إعادة مراجعة الماضي وأولئك الذين خسروا

إذا كانت النظريتان السياسيتان الثانية والثالثة، غير مقبولتين كنقاط انطلاق لمعارضة الليبرالية، ولاسيّما فيما يتعلق بكيفية فهمهما لنفسيهما، وما دعتا إليه، وكيف تصرفتا، فلا شيء يمنعنا من إعادة تقييم حقيقة هزيمتهما كشيء إيجابي.. وبما أنّ منطق تاريخ العصر الجديد أدى إلى ما بعد الحداثة، فإنّه يشكل الجوهر السري للعصر الجديد، الذي ينكشف في نهايته فحسب.

عَدّت النظريتان السياسيتان، الثانية والثالثة نفسيهما مرشحتين منافستين للتعبير عن روح الحداثة.. وقد فشل هذا الادعاء فشلاً ذريعاً.. إنّ كل ما يتعلق بهذه النوايا غير المسوّغة في الأيديولوجيات السابقة - بالنسبة لمبدعي النظرية السياسية الرابعة-أمر لا يثير الاهتمام.. لكن حقيقة خسارة تلك النظريات، يجب أن تؤخذ على محمل الجدارة، أكثر من اعتبارها قصوراً.. مادامت قد خسرت، فقد أثبتت أنها لا تنتمي إلى روح الحداثة، وهذا ما أدّى بدوره إلى أن تكون أساساً لما بعد الليبرالية.. وهو ما يُعدُّ أمراً جيّداً يُحسب لها.. علاوة على ذلك، فالأمر يعني أن ممثلي النظريتين السياسيتين الثانية والثالثة - بوعي أو بغير وعي - وقفوا إلى جانب التقاليد، دون أن يستخلصوا الاستنتاجات الضرورية من ذلك، أو لم يعترفوا بها على الإطلاق.

تحتاج النظريتان السياسيتان الثانية والثالثة إلى إعادة تقييم، مع إبراز ما يجب التخلي عنه، وما له قيمة في حد ذاته.. أما النظر إلى نفسيهما كأيديولوجيتين كاملتين فهذا غير صحيح، إنهما غير صالحتين للاستعمال تماماً - لا نظريّاً ولا عمليّاً، ولكن يمكن لبعض العناصر الهامشية، كقاعدة عامة، تلك التي ما أُدركت من قبل، وتركت على الأطراف، أو في الظل (مرة أخرى، نذكر ب«ميتافيزيقيا القمامة»)، أن تكون ذات قيمة عالية بشكل غير متوقع، ومليئة بالمعنى والحدس.

ولكن على أي حال، فإن النظريتين السياسيتين الثانية والثالثة، تحتاجان إلى إعادة التفكير بهما بطريقة جديدة، ومن مواقع جديدة، وبعد التخلي فقط عن الثقة في البنى الأيديولوجية التي قامت عليها «أرثوذكسيتها».. إن تلك «الأرثوذكسيّة» هي أكثر الأشياء التي لا تهمهما، ولا فائدة منها.. وستكون قراءتهما المتقاطعة أكثر إنتاجية وفعاليّة بكثير: «ماركس من خلال نظرة إيجابية من اليمين» أو «إيفولا من خلال نظرة إيجابية من اليسار»، لكن مثل هذا المشروع «الوطني البلشفي» المثير (بروح أوستريالوف ن .. أو إيرنيست ن.) لا يكفي في حد ذاته، لأن الإضافة الميكانيكيّة للنظريّة السياسيّة الثانية والنظريّة السياسيّة الثالثة، في حد ذاتها، لن تقودنا إلى أي مكان.. بالرجوع إلى الماضي فحسب، يمكننا تحديد المنطقة المشتركة بينهما، تلك التي كانت تعارض بشدة الليبرالية.. هذا المقياس المنهجي مفيد، كإحماء قبل الإعداد الكامل للنظرية السياسية الرابعة.

قراءة مهمة وحاسمة حقًا للنظريات السياسية الثانية والثالثة، ممكنة فقط على أساس النظرية السياسية الرابعة التي بدأت تترسّخ، بحيث يكون الموضوع الرئيسي - على الرغم من رفضه جذرياً كقيمة! - هو ما بعد الحداثة وشروطها: العالم المعولم، (الحوكمة)، مجتمع السوق، عالمية حقوق الإنسان، «الهيمنة الحقيقية على رأس المال»، إلخ.

هي بضع ثوان فقط

دلال إبراهيم

في روايته الساعة الخامسة والعشرون للروائي قسطنطين جورجيو نقتبس بعضاً منها:"إن آلام البشر لا يمكن أن تقاس بالكيلوغرامات والأطنان، إن الحياة لا يمكن أن توزن، إن ذلك الذي يحاول وزنها يرتكب خطيئة قاتلة"

"هناك بعض الميتات التي لا تخلف وراءها جثثاً"

"الخطر هو نفسه في كل مكان..ولا اختلاف سوى في ردود أفعال البشر"

يتراءى لي أن كل واحد منا مدينة فيها تضاريسها، ولها طبيعتها، وتغزوها متغيرات

ألم نجمّد أشياء فينا على مدى سنين عجاف ؟

أليس من الوارد أن ترتفع الحرارة فجأة لاحتكاك ما مع صروف الحياة ومافيها؟

وذلك الصدع الساكن فينا..من يدري متى يحدثنا بأخباره؟ نحن الذين تحولنا خلال ثوان إلى قبضة من طين يعوزنا فقط نفخ الروح فيها. بضع ثوان كانت كافية لتغيير معالم الحياة. قلبها رأساً على عقب، تبديل الفرح إلى حزن. والاجتماع لفراق، هي ثوان لم تغير ملامح الأرض فقط، بل غيرت ملامح القلوب. ثوان معدودات بدلت ما في النفوس. حينها كانت التضحية الإنسانية هي الجديرة بالذكر خلافاً لما يراه جورجيو في روايته تلك، والحياة البشرية كانت الأولى أمام كل إصرار وتحد. كم في أعماقنا من كوارث بشرية لا تشير إليها الأرصاد الجوية ..ولكن تنبهنا لها الكوارث الطبيعية!! أنتم الآن في الملمات واحد.. نعم.. كسر الزلزال جميع الحواجز القائمة في قلوبنا، وتجرد الجميع من كل الانتماءات سوى للوطن والإنسان.

أكاد أجزم أن أحداً لا يختلف مع دوستويفسكي في قوله "الإنسان الذي تربيه المصاعب لن يكون تلميذاً لأحد". كل الكوارث التي أحاطت بنا قبل الزلزال وكانت أشبه بإحاطة السوار بالمعصم. ظننا أن الإنسان في ظلها قد تهاوى وسقط بين حطام ظلمه وجبروته وقسوته، فأصبح شبيهاً بالأنقاض التي تهاوت هي الأخرى. تلك الأنقاض التي وقف أمامها رجال الإنقاذ شاخصو عيونهم فاتحو أفواههم، توَقفوا كتماثيل حجرية مصغية لأصوات منبعثة من جثثٍ ما زالت تنبض بالحياة، سحقها زلزال في ساعة فجر. تصارع الموت الفظيع تضرعاً. رجال مرهقون يضربون بالفؤوس والمطارق الثقيلة أو يحملون الحجارة بأيديهم بحثاً عن أرواح بين هذا الركام. أشخاص قادمون من كل أنحاء البلاد للمساعدة يحملون معهم الطعام والبطانيات والخيام، عمال إنقاذ يعملون حد الإنهاك طوال ساعات اليوم، وعلى الجانب الآخر أناس يائسون يقفون ينتظرون أخبار عن أحباء كانوا قبل قليل يتقاسمون معهم ضحكات وأحاديث، لم يكملوها لأن النعاس داهمهم. مخنوقين بدمهم مكبلي الأيدي. ينظرون مذعورين إلى هذا الدمار بعد أن شاهدوا الموت بكل تفاصيله..يحدقون بصمت إلى كل المحاولات التي يتمنون ألا تموت بحثاً عن يد تعيد لهم أجزاء منهم بقيت تحت الركام. ظنوا أنهم سبقوهم في النجاة. ينتظرون بتلهف نبأ ما. لكن الأمل بالعثور على أحبائهم تحت أطنان من الخرسانة والفولاذ يتضاءل مع مرور الأيام، ومع ذلك لا يغادرون المكان، ظلوا جالسين أمام نيران تقيهم من برد الليل، الضوء الوحيد هو الذي يأتيهم من داخلهم في ذكريات تبعث فيهم الدفء الذي فقدوه في لحظة أعادت تشكيل بانوراما مأساة، كسّر مشاهدها تعاقب الأوقات، ووقفوا وجهاً لوجه أمام هشاشتهم وأمام صلابة كاذبة. لربما تناهى إلى مسامعهم صوت من كانوا قبل لحظات يحيطوهم بأذرعتهم أزواجاً وأطفالاً. هل من الصواب أن تدعوننا "ناجين"؟! هل يكفي أن يعبر الهواء رئتيك لتكون على قيد الحياة، وأنت تشعر أنك دفنت قلبك تحت أنقاض البيت قبل لحظات..!؟ أم تقول لا بأس المهم أخرجوه من تحت الأنقاض بعد سماع خبر وفاة ابنها. يحمدون ربهم لأنهم ظفروا بجثة قريب لهم لا بروحه، اكتفوا بها جثة لأنها أخف بلاء من موت بلا جثمان يدفن.

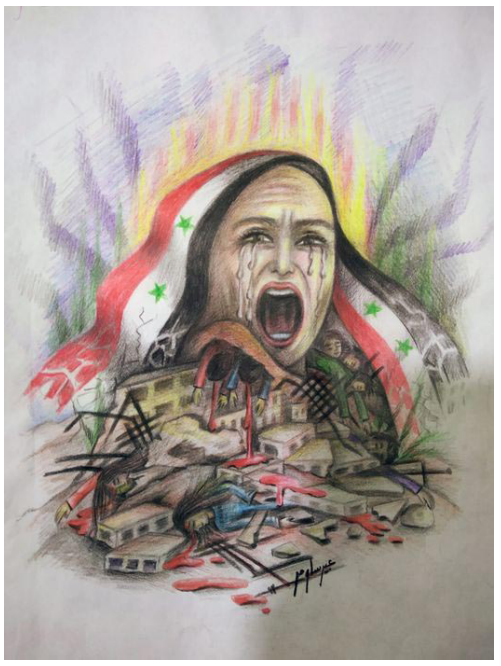

في السطر الأول من رواية الغريب يقول ألبير كامو:"اليوم ماتت أمي، أو لعلها ماتت أمس، لست أدري، وصلتني برقية من المأوى" الأم توفيت. الدفن غداً. احتراماتنا". تلك هي الأخبار التي كانت تتوارد إلى البعيدين ممن كان يعد عدته بعد الشتاء للزيارة، ويسألهم فرداً فرداً ماذا تحبون أن أجلب لكم معي. يتسائل: أيعقل أنهم باتوا الآن إحصائيات وأرقاماً.

من أكبر فواجع الأقدار، تحول الفواجع إلى إحصائيات وأرقام، وإلى أعداد في عجلة إلى تحديثات مستمرة بأن الألف صاروا عشرة آلاف، والعشرة آلاف صاروا عشرين ألفاً.. والعشرين ألف أصبحوا أربعين.. وما تزال الأرقام تتصاعد.. إنهم ليسوا ثلاثين ألفاً، وليسو أربعين ألف قتيل، ولا خمسين ألف ضحية، ولا خمسين ألف وفاة، ولا مصرع ستين ألفاً. دعونا نتمهل قليلاً، وندرك أنهم ليسوا سوى الآلاف من حياة، الآلاف من الحكايات، الآلاف من القصص، الآلاف من الشخصيات المستقلة المختلفة، الآلاف من الشبكات ذات الأبعاد الإنسانية والاجتماعية، ثلاثون، أربعون خمسون ألف إنسان، ووجهة نظر، وطريقة مفضلة للحياة. أي الآلاف من الحياة التي غادرت الحياة، وغادرت معهم الحياة حياة أحبائهم الناجين.. وتستمر الأرقام وتزداد الفواجع. وبانتظار الملايين من القصص التي سوف تروى بالنزف لا بالحرف.

استهداف للهوية والانتماء ...؟!

حبيب الإبراهيم

ربّما لا يغيب عن ذاكرة الكثيرين مشاهد سرقة المتحف الوطني العراقي وتدمير آثار بلاد الرافدين العظيمة، أثناء الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣

وبكل تأكيد لا يغيب عن ذهن وذاكرة أجيال كاملة ما اتبعه المستعمر العثماني خلال أربعة قرون من استهداف للثقافة العربية، من خلال سياسة التتريك، ومحاربة اللغة العربية، والثقافة الوطنية والقومية، وجعل اللغة التركية لغة البلاد الرسمية، أي لغة الإدارة والتعليم، إلى جانب تبديل وتغيير أسماء المدن والبلدات العربية وتسميتها بأسماء تركية، كما فعلت بلواء إسكندرون والذي هو جزء مهم من سورية وأطلقت عليه (هاتاي)؟

وللأسف يقوم الكثيرون من رواد التواصل الاجتماعي بتداول المصطلح دونما التدقيق بخلفياته الاستعمارية؟

ولا ننسى أيضاً ما مارسه المستعمر الفرنسي في سورية والأقطار العربية الأخرى خلال فترة الانتداب من سياسات استعمارية استهدفت وحدة المجتمع السوري وزرع الفتن والنعرات الطائفية، وسعيه لتقسيم سورية إلى دويلات متناحرة على أسس طائفية ومذهبية ومناطقية، إلى جانب سرقة الآثار السورية والمقتنيات التاريخية الثمينة وترسيخ اللغة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية الأم وغيرها من ممارسات تستهدف الثقافة الوطنية السورية المادية والمعنوية.

لكن السوريين أبناء الحضارة الموغلة في القدم كافحوا المستعمر، تمسكوا بلغتهم وثقافتهم وعروبتهم وقيمهم الأخلاقية النبيلة، فكانوا القدوة والمثل لكل عربي حر أصيل.

ولا ننسى أيضاً ممارسات الكيان الصهيوني الغاصب في استهداف؛ ليس الأرض فقط في الأجزاء المحتلة من فلسطين وسورية ولبنان، إنما استهدافه للثقافة والمثقفين من خلال ضرب المنظومة الفكرية والأخلاقية لهذه المنطقة وتشويه دورها التاريخي والحضاري ومساهمتها الفاعلة والبنّاءة في الحضارة الإنسانية، حيث سعى المحتّل الصهيوني إلى محاربة اللغة العربية في الجولان لسوري المحتل، وفرض الهوية الصهيونية على سكانه وسرقة آثاره وتشويه معالمه التاريخية، وإطلاق أسماء عبرية على مدنه وقراه العربية الأصل والانتماء، ومحاولاته الدائمة والمستمرة لاستهداف الرموز الوطنية المقاومة للسياسات الاستعمارية والاستيطانية، فيلجأ إلى الاعتداءات والاغتيالات والتي أصبحت جزءاً مهماً من سياسته المدعومة من قوى غربية استعمارية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية.

وخلال العقود الماضية من عمر هذا الكيان لم ينقطع مسلسل العدوان والاستهداف لسورية، ولعلّ آخرها استهداف قلعة دمشق التاريخية، وأحد أهم معالمها الأثرية، هذا الاستهداف يشكل جريمة موصوفة كاملة الأركان بحق الثقافة والحضارة والفكر الإنساني.

وقد عبّرت وزارة الثقافة السورية عن إدانتها لهذا الاستهداف عبر بيانها:

(إن وزارة الثقافة تدين بأشد العبارات هذا العدوان الإسرائيلي الغادر الذي استهدف موقعاً أثرياً يمثل جزءاً من التراث الثقافي العالمي، وهو أمر محظور لكون الاتفاقيات الدولية تمنع استهداف المواقع الثقافية، وبناءً عليه يُعد هذا الاعتداء جريمة مكتملة الأركان.)

إذاً نحن أمام استهداف وعدوان سافر لمنشأة تاريخية بما تحتويه من أسوار ومعاهد تعليمية، وبنى تحتية، هو استهداف للفكر والعلم والثقافة والإنسان، بل هو استهداف للهوية والانتماء والذاكرة الجمعية لهذا الشعب الأصيل المقاوم، أضف لكونها رمزاً تاريخياً لمدينة دمشق أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ.

ولعل ما عاشته سورية خلال الحرب الكونية عليها خلال أكثر من عقد، هو جزء من منظومة العدوان من خلال المجموعات الإرهابية المسلحّة بمسمياتها كافة من داعش والنصرة و....هذه التنظيمات الإرهابية لم تستهدف البُنى التحتية للشعب السوري ودولته الوطنية من مدارس وجامعات ومطارات ومنشآت اقتصادية وتنموية فقط ؟!

إنّما استهدفت الفكر والثقافة والانتماء الوطني والعروبي، من خلال نشر الفكر الظلامي الوهابي القائم على القتل والنحر والسّبي و...وغيرها من مصطلحات دخيلة على المجتمع السوري الذي يفخر بتماسكه وتنوعه وغناه التاريخي والحضاري.

كما عمدت تلك التنظيمات إلى سرقة المتاحف وتدمير التماثيل لعلماء وأدباء لهم بصماتهم في الثقافة العربية والإنسانية، مثل تمثال الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري وتدمير وتخريب متحف المعرة التاريخي، ومتحف تدمر بمقتنياته وآثاره الفريدة والتي تحكي قصة الحضارة في تلك المدينة الرائعة الجمال، والتنقيب عن الآثار بطريقة غير شرعية وسرقة وتهريب القطع الأثرية إلى خارج البلاد.

ولم تقف ممارسات تلك العصابات عند حد معين فقتلت العلماء والمفكرين والباحثين مثل المخترع السوري الأصغر في العالم عيسى عبود، والموسوعة التاريخية والأثرية الباحث خالد الأسعد، وغيرهم من قامات الوطن التي نعتز بمنجزاتهم ودورهم في الرقي والبناء.

الاستعمار، الكيان الصهيوني، التنظيمات الإرهابيّة المسلحة، أوجه متعددة لعملة واحدة تقوم على العدوان واستهداف الثقافة بشقيها المادي والمعنوي لضرب الهوية الوطنية والقومية، وهذا ما أكد عليه السيد الرئيس بشار الأسد بقوله:

(إنّ أخطر ما يمكن أن تتعرض له المنطقة العربية هو ضياع الهوية، وإنّ ما يحصل في سورية هو ليس حرباً عليها بالمعنى الضيق، بل لابد من أن نرى هذه الحرب بالمعنى الأكبر وهي الحرب على الانتماء).

مهما تعددت الأسماء والمسميات، هناك تكامل في الأدوار المشبوهة لتلك القوى الاستعمارية والتي تعمل على استهداف الثقافة والهوية والانتماء لهذا البلد، الذي قاوم الاستعمار والاحتلال والإرهاب بإيمانه المطلق بدوره الحضاري والتاريخي ورسالته السامية للإنسانية جمعاء.

كيف أبتديء اللحن ؟

هنادة الحصري

ترى كيف ابتديء اللحن
والحزن أضحى
جبالا من الحزن
والجرح أوسع من مفردات الكلام
الضئيل! ....
أغثني بسر غيابك
أسعف خطى النطق
أبقى كريما معي
في مجازات هذا الزمن البخيل....
ياراحل كيف تشردني
وتحث خطاي وتدعوني
للنهل الحنظل،
من برك النسيان...! ؟
يا راحل كيف تمنيني
بالفرح المتدفق
ثم تناولني قمصان الأحزان ...؟
×
ارثيك أم أرثي يباس الورد
حين دمشق تحرق أبجدية حبها
فكيف أطبقت الجفون
ياسمينك لم يزل في الدار مضفوراً
فكيف تبتدئ الغياب
ها أنت ترحل ليس بعدك
للمواويل الحزينة للفنون وللقصائد
سوى البكاء ...
أنا لا أصدق
كيف تنكسر القلوب
ولا أصدق أن ابن الشام مات
حتما سترجع كالسنونو
كي نراك على هديل الذكريات
يا شام ماذا تنقشين على رخام
الشاهدة؟
يا شام قولي مفردات الصمت
واعتصمي بحزني والياب
يا شام قولي لم يمت
يا شام قولي لم يمت
لكن شمسا أوقدت أحزانها
فبدا على الشمس الحداد.

ما قد حصل

رجاء شعبان

حصلَ الزلزال يا حبيبي..
وما بعد الزلزال ليس كما
قبله..
مَن مات مات..
مَن تصدّعَ للأبد بالصدمة
مَن رأى آيات ربّه وتاب!
يا حبيبي حصل الزلزال
معك قبل وبعد
أنت هو الذي ضرب بقلبي
قتل ما قتل من مشاعر
وردم ما ردم من سنوات
وأغلق الكثير من الشرايين
يا حبيبي كان لابدّ من هذا
الذي حصل
حتى لو كان سيجعلني أصحو
على موتك
حتى لو كنتَ أنت الزلزال
حصل وقتل نفسه به
وعشتُ بعده
لا أجده جميلاً أبداً
لكنّي أجد لطف ربّي بي منه
جميلاً...
يا حبيبي حصل ما حصل
وما بعد الزلزال ليس كما
قبله
فاصحَ ....
واسكنْ ..
كفى تروّع الناس
بزلزالك بعد ترويعي بك

بلادي

د. سلوى الحلو

نتأرجح كريشة لاتعرف السكون ...
ونحن الراحلون بين الدمعة
والدمعة
كنا نوقد للغد ألف ألف شمعة
ننذر للعمر حكايا نتلوها على
الصغار
هبت الريح وأذرت ما بنا من أمل
جاءت العاصفة تزرع الخراب
لكنها صدورنا العارية واجهتها
صدت الغدر وأنبتت الرياحين
بلادي ياوجعي
يا دمعة في القلب قبل العين
نحن التراب والعطر
وأنت المبتدأ والخبر
أيامنا
ريحٌ تهزها حيناً بعنفٍ ... وطفلٌ
يمتطيها أحياناً بلعبٍ...
لسان حالها يتساءل بخوفٍ ويقول
...
أتدرون متى يحين السكون ؟؟؟؟
كلنا نعيش مابين هذا الجِدِ واللعبِ
....ونحن نعلم علم اليقين:
(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له
كن فيكون).
بلادي لك عمري وفؤادي
قري عيناً وطيبي أرضاً وسماء
ما فوق سماك سماء

الكتاب القديم ..

مريم علي حسن

أنا ريما في الحادية عشرة من عمري كلما نجحت إلى صف بتميز أهداني أبو عمار كتاباً جميلاً وأنيقاً وفيه معلومات جميلة أتصفح صفحاته بحذر شديد ..وأنا أهوى رائحة الكتاب الجديد والرسومات الملونة والجميلة وإخراجها الفني.
وحين نجحت إلى الصف الخامس وكنت الأولى على صفي أنا وصديقتي مريم ..أهداها أبوها كتاباً جديداً تصفحت الكتاب ..أما أبي فقد أهداني كتاباً قديماً كان لديه ..حزنت كثيراً ولم أقرأ الكتاب ..وبدا علي الانزعاج لاحظ أبي ذلك ..فقال لي: تصفحي الكتاب قليلاً، وقولي رأيك هل أعجبك أم لا ؟..
قرأت فيه قليلاً فجذبني فالتهمته قراءة..لأنه كان جميلاً جداً..شكرت أبي على هديته فقال لي: تعلمي أن أي شيء تشاهدينه قديماً لا يدل مظهره عليه ..لقد فهمت أن المظهر ليس كل شيء بل المضمون هو الأهم.